وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف
University of Chadli Bendjedid El-Tarf
قسم اللغة والأدب العربي
Departement of Language and Arabic Literature

العنوان

التاريخ والذاكرة في كتاب وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبة:

- رمضاني مديحة

إشراف الأستاذة:

د. فتيحة عاشوري

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة
أ. حميد طريفة	أستاذ مساعد (أ)	رئيـــــسًا
د. فتيحة عاشوري	أستاذة محاضرة (أ)	مشرفًا ومقرّرًا
د. حفيظ بولخراص	أستاذ محاضر (أ)	عضوًا مناقشًا

السنة الجامعية:

2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان :

الشكر لله سبحانه و تعالى على نعمة الأخذ بأيدينا في إيجاز هذا العمل .

أتقدم بخالص شكري و عظيم احترامي إلى أستاذتي المشرفة

عاشوري فتيحة التي أشرفت على هذا البحث منذ أن كان مجرد فكرة إلى

أن اكتمل و أصبح ممتد الأغصان وافر الظلال .

كما أشكر كل من مد لي يد العون من قريب أو من بعيد و أشكر كل

أساتذة قسم اللغة العربية و آدابها و كذلك أتقدم بجزيل الشكر إلى

أعضاء لجنة المناقشة الموقرة .

مريم

إهـــــداء:

الحمد لله و كفى و الصلاة على الحبيب المصطفى و أهله أما بعد.

الحمد لله الذي وفقني لتثمين هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية بمذكرتي هذه ثمرة الجهد و النجاح أهدى هذا العمل

- إلى أحلى كلمتين يرددهما لساني
- إلى أجمل كائنين عرفتهما عيوني
- إلى والدي الكريمين حفظهما الله
- إلى كل من اسمهم غالي و صورهم لا تفارق خيالي

شقيقاتي: **بثينة** ، **وصال**

- إلى صغار عائلتنا: **أيوب** ، **صفوان**
- إلى كل من وسعهم قلبي و لم يسعهم قلمي

نسأل الله أن يجعل من هذا العمل نبراسا لكل طالب علم.

مريم

مقدمة

مقدمة :

يولد الإنسان مفطورا على حب الاكتشاف و المغامرة و روح المعرفة و الارتجال لفك حاجب الأسرار و اكتشافه لذاته من خلال تحسسه للأقوام الأخرى و البلدان وازدهار الحضارات، فمن برعم الرحلة نضجت ثمرة أدب الرحلات بين الدارسين للأدب وفنونه، إذ مثلت موضوعا شيقا للرحالة و شكلت محاور من الكتب المعرفية و الموسوعية ضمت كل ما جاء في هذا الأخير (أدب الرحلة) من ميولات ومشاعر وأحاسيس وانطباعات فكرية و دينية و سياسية و اجتماعية .

امتاز أدب الرحلات بنقل كل ما كان على مرمى من أعين الرحالة ، إذ أصبح كشاهد عيان عما كان يجوب أمامه مخلدا هذه المشاهد التاريخية و معتمدا في ربط كل ما رآه على ذاكرته التي أصبحت عبارة عن جسر يربط بين الماضي وكتابات الرحالة المستقبلية، فيجوب أمصار الواقع و يعود إلى وطنه محملا في ذاكرته تاريخ رحلته بما جاء فيها من عادات و تقاليد و أماكن جغرافية و آثار تاريخية و تنوع في اللغات و أسماء المدن و معانيها واختلاف في الحضارات و الأديان و تميز في هندسة المباني والعمران ... ليعيد بلورته في كتابات تجعل قارئها يعود أدراجه إلى تلك الحقبة الزمنية.

اعتبر النقاد أدب الرحلات جنسا أدبيا متميزا عن الأجناس السردية الأخرى لأنها تضم في طياتها جعبة من العلوم المختلفة و كثير من الوصف و السرد، فالسرد يعتمد على التاريخ والزمن، و الوصف يعتمد على الذاكرة و المكان، وبهذا يخلق بينهما جنس اهتم به كل الأدباء ، فمن خلال هذه الاعتبارات المعرفية جاء موضوع رسالتنا موسوما بـ :

" **التاريخ و الذاكرة في كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان** " حاولنا من خلاله الوقوف على اللحظات التاريخية الحاسمة في سيرة الوزان وكيف خلدها في كتابه باعتبارها وثيقة

ومرجعا للذاكرة والتاريخ، وكذلك الكشف عن المعالم التاريخية والحضارية بتصنيفها المادي والمعنوي، وقد انطلقت من عدة أسئلة تعد مفتاحا لإشكالية البحث وهي :

ماهية أدب الرحلة ؟ وماذا نقصد بالتاريخ و الذاكرة ؟ وما العلاقة بينهما ؟ ومن هو الحسن الوزان ؟ وكيف تجلى عنصر التاريخ و الذاكرة في كتاب وصف إفريقيا ؟ وما الأسباب التي أدت بالأدباء والنقاد لاستعمال هذا الكتاب كمرجع لإحياء هذان الأخيران ؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدت على خطة منهجية تتكون من مقدمة وفصلين وخاتمة.

وسم **الفصل الأول** بـ : "**الذاكرة و التاريخ : مقاربات في الماهية**"، وهو عبارة عن جانب نظري جاء فيه مفهوم أدب الرحلة شمل مجموعة من التعريفات المختلفة من عدة باحثين، يليه مفهوم التاريخ المستخلص من تعريفات الأدباء والمؤرخين، بعدها مفهوم الذاكرة شمل لمنحنيات عديدة أخذتها الذاكرة بكل فروعها ثم علاقة الذاكرة بالتاريخ جاء فيه شرح مفصل عن ارتباط كل منهما بالأخر ونقاط الاختلاف بينهما .

أمّا **الفصل الثاني** فقد وسم بـ : "**تجليات الذاكرة و التاريخ في كتاب وصف إفريقيا**"، وهو الجانب التطبيقي وشمل التعريف بالكتاب " وصف إفريقيا " تضمن دراسة لمضمونه وكل فروعه بعدها، التاريخ في كتاب وصف إفريقيا (التاريخي ، الجغرافي، السياسي، الديني الأنثروبولوجي ...) ثم يليه عنصر الذاكرة في هذا الكتاب و كيف تجلت من خلال الكاتب و بعدها دور الذاكرة في هذا الكتاب وكيف استطاعت أن تأثر و تتأثر بالباحثين وفي الأخير حوار الحضارات و الثقافات التي كانت في كتاب وصف إفريقيا وكيف اندرجت في فكر الوزان .

اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي الذي رأينا أنه الأنسب لدراسة التاريخ و الذاكرة في أدب الرحلة لما تحمله من أماكن وأزمنة ، والغاية من موضوع أدب الرحلة في كتاب وصف إفريقيا على وجه الخصوص هو الكشف عن خبايا أدب الرحلات وتميزها وربطها بين كل الأنماط الأدبية من وصف وسرد وكذا الكشف عن الواقع المعرفي والتاريخي الذي ساد زمن ارتجال الحسن الوزان .

كما تواجدت عدة دراسات التفتت إلى الكتابة في هذا الموضوع و نذكر منها:

- خولة عميرة، إيمان بوقفة، صورة المغرب العربي عند الرحالة المغاربة للحسن الوزان " وصف إفريقيا" رسالة ماجستير إشراف كمال بولعسل، قسم اللغة و الأدب العربي جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، 2019-2020 .

- الطاهر خالد ، مساهمة الحسن الوزان في التأريخ لبلاد السودان من خلال كتاب " وصف إفريقيا " المجلة التاريخية الجزائرية ، العدد 04 جامعة محمد بوضياف، المسيلة 2017.

- بورملة خديجة ، قسنطينة في جغرافية و رحلة الحسن الوزان عصور الجديدة ، العدد 18، قسنطينة 1436 هـ / 2015 م.

وكأي بحث واجهت مجموعة من العراقيل و الصعوبات شملت صعوبة في إيجاد المراجع والمصادر اللازمة لكني عملت جاهدة على إتمام هذه الدراسة على أكمل وجه، و استعنت ببعض المراجع أذكر منها: كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان، كتاب أدب الرحلات لنبيل راغب، كتاب المقدمة لابن خلدون كتاب الذاكرة في الفلسفة و الأدب لميري ورنوك Mary Warnock، كتاب الذاكرة ، التاريخ والنسيان لبول ريكور Paul Ricoeur، وكذلك بعض الموسوعات و المواقع الإلكترونية المختلفة .

أتمنى – في الختام - أن أكون قد وفقت في أداء الأمانة العلمية في أمثال هذه البحوث الأكاديمية، مقدمة جزيل الشكر و الثناء لأستاذتي المشرفة عاشوري فتيحة على حسن التوجيه والرعاية لهذه الدراسة حتى وصلت ذروته، و لي من الله التوفيق لكل جهد وعناء بذلته في سبيل خدمة البحث العلمي .

الفصل الأول: التاريخ والذاكرة

مقاربات في الماهية

تمهيد:

لطالما كان الإنسان محبا للحركة و التنقل و الترحال، إذ كان ينتقل من أجل المعرفة و الاستكشاف لكل ما هو جديد عن ناظره فجعل من هذه الاستكشافات و الرحلات أدبا قائما بذاته سمي بأدب الرحلات، جمع فيه بين فواصل رحلاته و أماكنها وذاكرته التي كانت عبارة عن مفتاح لكتابة ملاحظاته بإطار زمني يجمع فيه بين بداية الرحلة و نهايتها وإطار أخر مكاني يصف فيه الأماكن التي جابها، فأدب الرحلة هو عبارة عن ذكريات لها تاريخ معين ارتبطت بالذاكرة فبدون تواجد رحلة لن يكون هناك تاريخ يبقى مرسخا في ذاكرة الرحالة.

أولا : أدب الرحلة مقارنة بالمفهوم :

يعتبر أدب الرحلة واحدا من أجمل أنواع الأدب و أقدمها، ازدهر مع مرور الزمن و تطور مع تطور الثقافات و الحضارات وقد جاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب " أنه مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباع المؤلف عند رحلاته في بلاد مختلف، و قد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات و تقاليد و سلوك و أخلاق لتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذه في آن واحد "[1]، كما يعد أدب الرحلة وعاءا معرفيا يضم مختلف أنواع الثقافة الإنسانية و يحمل في طياته مادة خصبة لكل المهتمين بالتاريخ و النظم السياسية وأنماط الحياة الاجتماعية، و رصدت من خلاله آثار التأثر و التأثير بين الحضارات والشعوب.

[1] - مجدي وهبة و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة بيروت، ط2، لبنان، 1984 ص 17.

بالإضافة إلى ذلك يعد فنا نثريا يشكل من ذات الرحالة و امتزاجه مع الآخرين يجسدها في شكل تعابير يضفي عليها طابع السرد و الوصف، أي أنه " يقوم على السرد القصصي- يضمنه الكاتب الرحالة مشاهداته و انطباعاته في البلاد التي يزورها، و هي تقوم على وصف الطبيعة الجغرافية أو نبذا عن التاريخ أو عادات الناس و تقاليدهم و أنماطهم في العيش وطرق تفكيرهم[1] "، إذ كان وسيلة طلب العلم من صدور أهله و معيار الحكم على أهلية العالم وكفاءته وأداة للتعرف على مواطن البشر- و اختلاف ثقافاتهم وأساليب حياتهم والحضارات التي ينحدرون منها و ينتمون إليها.

يوجد العديد من الكتاب الذين تطرقوا لأدب الرحلة من مثل حسين محمد حسين (1912-1982) الذي عرفه بأنه " نمط يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد ، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ و الجغرافيا و علماء الاجتماع و الاقتصاد و مؤرخي الآداب والأديان " [2]، ونقصد من هذا أن المؤرخين لديهم اهتمام كبير بكل ما تحمله الرحلة من قضايا وأهداف إذ اهتم بعضهم بقضايا التوثيق التاريخي والبعض الآخر اهتم بالتقييد الجغرافي وبعضهم بالتوثيق البشري الذي يعرف بالأنثروبولوجيا ومنهم من اهتم بالتلاحق الحضاري ونقله للأجيال اللاحقة بالوصف و التحرير.

أما حسين محمد فهيم (1924) يرى " أن أدب الرحلات هو رواية التفاعل بين الذات والآخر و الذي يترك فيه الرحالة حرية التعبير الكاملة و أن يطرق من الموضوعات ما يراه هاما و شيقا "[3]، والمغزى من هذا أن الرحالة له الحرية الخاصة في الموضوعات التي يريد الكتابة عنها، ويخترها حسب نمط بيئته و تفاعل المتلقي معه، في حين يعرفها نبيل راغب (1940-2017) فقد عرف أدب الرحلة باعتبارها " مجموعة من الانطباعات و الملاحظات

[1]- فواز الشعار، الموسوعة الثقافية العامة ، دار الجيل ، ط2 ، بيروت ، 1999 ، ص 7 .
[2]- حسين محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب ، دار الأندلس ، ط2 ، بيروت ، 1983 ، ص 6 .
[3]- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات ، دار علم المعرفة ، ط1 ، الكويت ، 1978 ، ص 63 .

التي سجلها الرحالة الأوائل في رحلتهم ومغامراتهم المختلفة ، وغالبا ما كانت هذه الملاحظات على شكل مواقف أو أحاديث تنتقل مشافهة من لسان لآخر، دون مسؤلية محددة عن السرد بمرور الوقت تحولت هذه الأحاديث إلى نوع من الآداب التي تحمل سمات مميزة "[1]، أي أن الرحالة يقوم بتسجيل مشاهدات وملاحظات وحتى آراء السكان الذين زارهم وينقلها لنا منقحة تأتينا على شكل كتب حاملة لمسار الرحالة وهندستها، أما سعيد بن سعيد العلوى (1946) فعرف أدب الرحلة " بأنه جنس أدبي له من الصفات ما يكفي لتمييزه عن الأجناس الأدبية، كونه خطاب مخصص له منطقة الذاتي وبناؤه ومكوناته يجمع بين الإفادة عندما يخبرنا عما يراه والإمتاع لما يرصد لنا ما هو عجيب، الأمر الذي يجعل الرحالة يتقمص شخصية السارد أو القاص " [2].

يمتاز أدب الرحلة بمواعث وخصائص وأهداف ومواضع خاصة به عن بقية الأنواع الأخرى يتضمن موضوعات و مضامين تمثله، فهي وليدة المعارف دونها الرحالة انطلاقا مما شاهده من غرائب وعجائب في البلدان و الأماكن التي قام بزيارتها فمقوم هذا الأدب الأساسي هو الرحلة في حد ذاتها فلا يمكن أن يكون هناك أدب الرحلة بدون تواجد الرحلة .

[1] - نبيل راغب ، أدب الرحلات ، مجلة الفيصل ، ع 88 ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1984 ، ص 71 .
[2] - سعيد بن سعيد العلوي ، أوروبا في مرآة الرحلة صورة الأخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة ، مطبعة النجاح الجديدة ، ط1 ، الدار البيضاء ، 1995 ، ص 14 .

ثانيا : التاريخ

أ- لغة :

هو الإعلام بالوقت، يقال أرخت الكتاب ورخته، أي بينت وقت كتابته.

وفي معجم الوسيط جاء " من الفعل أرخ من مكانه أروخا و أرخ الكتاب حدد تاريخه وحدثه وفصله و وقته ، وهو جملة من الأحداث و الأحوال التي يمر بها كائن ما ويصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية "[1]، وجاء في كتاب اللغة " أرخ التاريخ تعريف الوقت والتواريخ مثله، أرخ الكتاب ليوم كذا ووقته "[2]، فالتاريخ جمع تواريخ يوم أو أجل محدد ينبغي أن تكون في الميقات ويعتبر المحدد لأحوال وأحداث الأمم والمجتمعات ترتبط بزمن معين ومكان محدد .

ب- اصطلاحا:

اختلف تعريف مصطلح التاريخ من كاتب لآخر ومن عالم لغيره، إذ يعتبر مجموعة من الأحداث و الوقائع التي حدثت في الماضي تحمل زمنا و مكانا محددا من قاموا بتسجيله والحفاظ عليه لنستطيع اليوم معرفة ما حدث في العصور القديمة القبلية ويبقى هذا دليلا قاطعا على ما عاشته الأمم والحضارات قديما.

ينظر ابن خلدون (1332-1406) للتاريخ بنظرة تاريخية معرفا إياه على أنه " خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لذلك العمران من أحوال وأصناف التقلبات للبشر لبعضهم على بعض "[3] ومن هذا المنبر يرى ابن خلدون أن العمران الذي

[1]- إبراهيم أنيس و آخرون ، معجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط5 ، 2011 ، ص 13 .

[2]- ابن منظور ، لسان العرب ن دار الصادر ، بيروت ، ج3 ، 2010 ، ص 4 .

[3]- ابن خلدون ، المقدمة ، تح ، درويش جويدي ، ج1 ، المكتبة العصرية ، ط2 ، بيروت ، 2000 ، ص 40 .

يتعرض لها المجتمع الإنساني تنطوي تحت طيات التوحش والتأنس والعصبيات، وتقلبات البشر على بعضهم البعض وكل ما ينتحله البشر بأعمالهم و مساعيهم من الكبس والتعايش والعلوم و الصنائع.

اعتبر الشيخ عبد الرحمن الجيلالي (1908-2010) رؤيته الدينية للتاريخ أنها تصف التاريخ بأنه " علم تعرف به أحوال الماضين من الأمم الحالية من حيث معيشتهم و سيرتهم ولغتهم وعاداتهم ونظمهم وسياستهم و اعتقاداتهم و آدابهم، حتى يتم ذلك معرفة أسباب الرقي والانحطاط في كل أمة وجيل "[1]، وعليه فعبد الرحمن الجيلالي صنف التاريخ على أنه كتاب يجمل لأوضاع الناس واختلافاتهم من عادات وتقاليد ومعتقدات وأديان وأدب وغيرها يميز من خلالهم بين المدن وتباينها فيما بينهم.

ونجد محي الدين الكافيجي (1380-1474) يقول عن التاريخ " تعيين الوقت لينسب إليه زمان مطلق سواء كان قد مضى أو كان حاضرا ... "، أي هو فهم الماضي لإفادة الحاضر والتخطيط للمستقبل ومعناه حسب السخاوي (1427-1497) " إنه فن يبحث عن وقائع الزمان من حيث التعيين و التوقيت بل عما كان في العالم "[2]، ومن جهة أخرى نجد الرؤية الفلسفية التي قدمها عبد الله العروي (1933) للتاريخ فيقول"نفهم من كلمة تاريخ مطلق ما حصل قبلنا مجموع أحوال الماضي المحفوظة في وعي غير بشري و في متناول البشر عن طريق الكشف والإطلاع المباشر "[3]، أي يعتبره عبارة عن كل ما قام به الإنسان في العصور القديمة وسجلها لكي نستطيع اليوم التعرف على أحوال المجتمع التي عاشت خلال حقبة معينة وكان تاريخها من أثبت لنا وجودها في الحاضر.

[1]- أبو القاسم الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، ج1 ، ط1 ، بيروت ، 1998 ، ص 303 .

[2]- محمد عبد الرحمن السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 2015 ، ص100 .

[3]- عبد الله العروي ، مفهوم التاريخ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ن المغرب ، ط4 ، 2005 ، ص 37 .

في حين هناك من المستشرقين من قدموا عدة مفاهيم للتاريخ حسب أرائهم الخاصة، إذ نجد فريديريش هيغل Friedrich Hegel (1770-831) الذي قدم رؤية وجودية عن التاريخ فعرفه على أنه " عملية عقلية منظمة و خلاقة لظهور قيم جديدة لكن التاريخ هو ليس الماضي والحاضر فقط بل هو المستقبل أيضا ، مستقبل الإنسانية الحرة " [1]، أما إدوارد كار Edward Carr (1822-1982) فقد جعل من التاريخ " عملية من التفاعل بين المؤرخ و وقائعه و حوار سرمدي بين الحاضر و الماضي " [2]، وبالنسبة لفرناند بروبديل Fernand Braudel (1902-1985) عرفه على أساس جغرافي بأنه "هو الإنسان والباقي و إن كان كل شيء تاريخ : الأرض والمناخ والتاريخ علم الإنسان، لكن شريطة أن تكون علوم الإنسان بجواره وهو أداة لمعرفة الإنسان في الزمان عبر المكان "[3].

يعتبر التاريخ أصيل في الحكمة وعريق وضرورة حضارية لفهم الإنسان من خلال تاريخه ويعيد استكشافا كليا لتطور أحوال البشرية منذ بداية الخليفة ومحاولة لحل اللغز المتعلق بالوجود في الكون، إذ به ندرس تواريخ الأمم والملوك لنتعلم وندرس تجارب الأمم وما وقفت عليه من أخطاء لننجو بأنفسنا من المزلات ومواطن الضرر .

[1]- د . مولاي المصطفى البرجاوي (25-11-2010) مقالات عن مصطلح التاريخ ، موقع الألوكة ، رابط الموقع : (http://www.ALUKAH.net)

[2]- المرجع نفسه

[3]– الملرجع نفسه

ثالثا: الذاكرة :

أ- **لغة:**

تتمثل الذاكرة في قدرة النفس على الاحتفاظ بالتجارب السابقة و استعادتها ، فهي مأخوذة من الذكر " و هو الحفظ للشيء و الذكر و الذكري و الذاكرة نقيض النسيان "[1]، ونعني به الأداة أو الملكة التي يستطيع بها الإنسان حفظ ذكرياته و ماضيه و قد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة ، على سبيل المثال "ذاكرة صيغة لمؤنث لفاعل ذكر "[2]، أما عند ابن فارس (942-1004) في مقاييس اللغة معنى ذكر بقوله " ذكرت الشيء خلاف نسيانه ثم حمل عليه الذكر باللسان "[3].

فالذاكرة هي عملية معرفية تعني تخزين ما تم اكتسابه من معلومات بهدف استرجاعها عند الحاجة إليها بعد انقضاء فترة من الوقت و قد تطول أو تقصر.

ب- اصطلاحا:

تعد الذاكرة إحدى قدرات الدماغ البشري الذي تمكنه من الترميز و التخزين والاحتفاظ و من ثم استرداد المعلومات و الخبرات السابقة و يمكن اعتبارها بالمصطلح العام على أنها استرجاع للمعلومات للتأثير على السلوك الحالي ، حيث إن الذكريات مرتبطة بالوقت الماضي و عند ذكر موضوع حدث سابقا تبدأ الذاكرة باسترجاع المعلومات السابقة المرتبطة بذلك الموضوع وبالتالي فالذاكرة هي وظيفة معرفية مهمة في حياة الإنسان و المخزون الذي نسترجع منه كل ما يتعلق بماضينا .

اختلفت تعاريف الذاكرة حسب اختلاف الرؤى والاتجاهات التي درستها نذكر منها:

---

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف (308/4) مادة ذكر . .

[2]- أحمد مختار عمر ن معجم اللغة العربية المعاصر ، مح ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2008 ، ص 813 .

[3]- عبد السلام هارون، معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، ج2 ، دار الفكر ، القاهرة ، 1979 ، ص 358 .

مقاربة ابن سينا (980-1037م) في كتابه الشفاء إذ ينعتها " القوة الحافظة الذاكرة و هي قوة تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني غير المحسوسة في المحسوسات الجزئية " [1]، أي أنها ملكة ذهنية أساسية للفكر منذ قرون يحتاجها الإنسان في استرجاع ما تعلمه واكتسبه من خبرات من أجل الاتصال و التواصل مع المحيط والمجتمع، وكذلك ذكرها محمد بن يونس الهروي (1006-1089 م) في بحر الجواهر " القوة الحافظة هي قوة تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعارف فتذكرها و لذلك سميت ذاكرة " [2]، وأيضا عرفها التهانوي (1158 هـ / 1745 م) بقوله : " الحافظة عند الحكماء قوة تحفظ ما يدركه القوة الوهمية من المعاني ... "[3] و من هذا الكلام نستنتج أن الذاكرة هي المحرك الأساسي لحياة الفرد وسلوكاته لأنها حجر الزاوية لنمو الإنساني ، فيدونها لنستطيع أن نخطط للمستقبل استنادا للخبرات والمعلومات التي سبق له تعلمها بينما عرفها الزيات (1885-1968م) على أنها " نشاط عقلي معرفي يعكس القدرة على الترميز و التخزين أو معالجة المعلومات المتداخلة أو المستقلة و استرجاعها "[4]، أي أنها فاعلية ذهنية تقوم بالاحتفاظ بحوادث الماضي ويدونها يغدوا النشاط الذهني لدى الإنسان فقيرا و محدودا ، فالذاكرة تعين الإنسان على استحضار تجارب الماضي وأخطائه والاستفادة منها في المستقبل.

كما تعرف أيضا بأنها " قدرة المرء على التعرف على حدث أو شيء سبق أن تعلمه أو عرفه أو ميزه من غيره و يعبر عن التذكر لفظا بإعادة الألفاظ أو الكلمات و العبارات التي كان قد

[1]- ابن سينا ، الشفاء ، الفن السادس ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، 1984 ، ص 46 .

[2]- محمد بن يوسف الهروي ، بحر الجواهر ، طبعة طهران ، الهند ، 1971 ، ص 109 .

[3]- محمد علي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم ، تحقيق رفيق العجم ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1996 ، ص 610 .

[4]- فتحي مصطفى الزيات ، صعوبات تعلم الأسس النظرية و التشخيصية و العلاجية ، دار النشر للجامعات ، مصر ، 1998 ، ص 39 .

حفظها أو حركة أو أداء بإعادة القيام بالعمل المتذكر بنفس الطريقة التي كان قد تعلمهبها... "[1].

و من خلال هذه التعريفات فنعتبر الذاكرة بأنها قدرة الإنسان على تذكر التجربة الشخصية و الاجتماعية و حفظها و تشخيصها و استخدمها و تعتبر مستودع المعلومات الذي يقوم بتصنيعها و استحضارها عند الحاجة لها، بالإضافة إلى التعريفات العربية تتواجد عدة تعريفات من الثقافة الغربية (المستشقين) نذكر منهم:

عرفها سولسو Solso (1988) على أنها " دراسة مكونات عملية التذكر و العمليات المعرفية التي ترتبط بوظائف هذه المكونات " [2]، أما من جهة نيكولاس سيرج Serg Nicolas (2002) فقد عرفها " الاحتفاظ بجميع الخبرات الحياتية للفرد " [3]، بمعنى تاريخ الأحداث الشخصية كما يلتقطها الدهن، بينما شيرنيرج Sternberg (2003) فعرف الذاكرة على أنها " العملية التي يمكن من خلالها استدعاء معلومات الماضي لاستخدامها في الحاضر " [4].

تعتبر الذاكرة عملية معرفية معقدة و ظاهرة فيزيولوجية نفسية وإنسانية ترتبط بعملية الانتباه والإدراك والتخزين والاستجابة مع القدرة على استرجاع الخبرات الماضية.

[1]- مثقال القاسم جمال ، أساسيات صعوبات التعلم ، دار الصفاء للنشر ، عمان ن الأردن ، 2015 ، ص 70 .

[2]- ساسان إلهام ، تأثير الصدمة الجمجمية على الذاكرة و كيفية إعادة تأهيلها ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس و علوم التربية ن كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، دفعة 2006-2007 ، جامعة الحاج لخضر ن باتنة ، ص 31 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 31 .

[4]- المرجع نفسه ، ص 31 .

رابعا : علاقة الذاكرة بالتاريخ:

عرف التاريخ والذاكرة على منحنين فهناك من يراهما أنهما وجهين لعملة واحدة، وهناك من يرى أن التاريخ و الذاكرة لا يلتقيا أبدا فلكل واحد منهما انشغاله الخاص.

" تعتبر الذاكرة تراكم ذهني لذكريات متنوعة تغذي التصورات والتخيلات المختلفة المسترجعة من الماضي إلى الحاضر ، كما أنها تؤثر و تتأثر و تعمل حسب الطلب وتستحضر أحداثا لا يريد صاحبها نسيانها ، ثم أن قضية الموضوعية تبقى أكبر عائق بين اتحاد الذاكرة بالتاريخ فالذاكرة تكبح العلم أما التاريخ فيقوم على الموضوعية و هدفه الحقيقة أما الذاكرة فتحتفظ فقط بما يريد الأفراد سماعه و تقصى ذاكرة الآخر و تبنى أمجادها على حساب ذاكرته، و أما التاريخ على عكس الذاكرة يخضع الحدث للدراسة و النقد تحت وصاية العلم و تكون وظيفة المؤرخ من المجاهرة بالحقيقة وليس سجينا للذاكرة فالتاريخ والذاكرة يعملان في مستويان مختلفان، لكن التاريخ و إن كان يتجاوز الذاكرة و سابق عليها فإنه لا يقصيها دون مبرر بل يتعامل معها قبولا أو رفضا، فهو يحتاج للذاكرة لكنه يخضعها لشروط صناعته، كما أن الذاكرة تتشتت لأنها تصدر الأحكام أما التاريخ فلا يهمه إصدار الأحكام ، و عليه فالتاريخ ليس هو الذاكرة ، فالمؤرخ يستفيد من ذكريات الناس لكنه يجمعها ويقارن بينها و يضعها على المحك بمواجهتها بالوثائق و الأشياء المادية و الآثار ليبني الوقائع، كما أنه يضع في حسابه الذاكرة لكنه لا يحبس نفسه في حدودها الضيقة "[1]، لأن الذاكرة معرضة للنسيان، وهناك من يرى عكس ما قيل ويعتبر الذاكرة الموروث الخام للتاريخ فبدونها لا يمكن إعادة بناء الماضي البشري ونحته ومنحه الاستمرارية في التاريخ من خلال انتقاء أحداث الماضي وإعادة بناءها و صقلها.

[1]- عبد الفتاح آيت آدري، (11 أيار 2016) الذاكرة والتاريخ آية علاقة، موقع نظرات مشرقة نت، ص 01 إلى 03 رابط الموقع https://www.natharatmouchrika.net

إذ عدت الذاكرة المادة الأولية للتاريخ، فهو في حاجة لها كموضوع من موضوعات اشتغاله لكنه دائما في صراع مع مخاطرها المتعددة، فنجد أن بول ريكور Paul Ricoeur (1913-2005) قد تعرض في كتابه " الذاكرة، التاريخ والنسيان لموضوع العلاقة بينهما ، فهو يرى " أن التاريخ يتغذي من الذاكرة و لكن له استقلاليته، فتقف الذاكرة كوسيط بين قطبي الزمان والمكان التاريخي "[1]، أي أن الذاكرة تحفظ الماضي والتاريخ يحفظ أحداث الماضي الذي يمر به الفرد.

كما اعتبر الذاكرة أنها" تقودنا مباشرة إلى التاريخ لأنها هي الحامل الأول للتاريخ ولولاها لما كان هناك من علم لكتابة التاريخ "[2]، إذ أن المصدر الأول لمعلومات المؤرخ هو الشهادة شهادة أولئك الذين حضروا الحدث، فتعد ذاكرة الشاهد هي الرحم الذي ولد منه التاريخ وانطلقت منه حقائق الماضي التي أرخت لتصل إلى الأجيال المعاصرة وتقدم نبذة عن الحياة القبلية للشعوب.

[1]- بول ريكور، التاريخ الذاكرة والنسيان، تر جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت، 2009، ص 14

[2]- المرجع نفسه، ص16

الفصل الثاني: التاريخ والذاكرة في كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان

أولا: التعريف بكتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان:

يعتبر كتاب وصف إفريقيا من أبرز مؤلفات ليون الإفريقي وأهمها في تاريخ البشرية، ويعد القسم الثالث من كتاب الجغرافيا العامة أتم كتابته سنة (933 هـ /1526 م) بمدينة روما كتبه باللغة الإيطالية وترجم إلى اللغة العربية[1]، حيث كان المصدر الوحيد الذي عرف بإفريقيا وفي مضمون كتابه هذا ذكر أنه ذو أصل عربي مغربي و تفكير أوروبي ، قام بكتابته باللغة اللاتينية في إيطاليا " إذ اعتذر عن الأخطاء التي يحملها الكتاب في معظم فصوله و هذا لاعتماده على ذاكرته و على الملاحظات المسجلة من خلال جولاته في إفريقيا "[2]، كما التزم الوزان بالموضوعية والحياد التام خلال توثيق كتابه تبعا لغيبة المصادر و الهفوات الجغرافية و التاريخية في ذاكرته ، معتمدا فيه على ما كان من مشاهدات خاصة و على ما نقله المؤرخين الجغرافيين كالقيروان (922-996م)، و البكري (1030-1094 م) وابن خلدون (1332-1406 م) ... وغيرهم.

أخذ هذا الكتاب عدة ترجمات مختلفة نذكر منها : " ترجمة جان فلوريان Jean Florian للاتينية وترجمة جان تامبورال Jean Tenporal للفرنسية، وكذلك ترجمة للإنجليزية و الألمانية و ترجمة الباحثة الإيطالية أنجيلا كاردوزا Angela Cardosi الإيطالية، وأيضا ترجمة عبد الحميد حميدة بالعربية و تواجد الكتاب في السعودية و ترجمة محمد حجي و محمد الأخضري بالعربية في المغرب الأقصى. "[3] وهي الترجمة المعتمدة في هذه الدراسة يعد كتاب وصف إفريقيا مصدرا مهما يزود الباحثين بمعلومات مهمة عن ثقافة و حضارة شعوبه و أحوالهم ، أنتيجة في ظل النهضة الأوروبية و ساهم في تسليط الضوء على

---

[1] - حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 8-9-10 .

[2] - حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، جريدة الحياة ، موقع اللغة و الثقافة العربية ن بيروت ، العدد 1 ، 1946 ، ص 2.

[3] - الطاهر خالد ، مساهمة الوزان في التأريخ لبلاد السودان من خلال كتابه وصف إفريقيا ، المجلة التاريخية الجزائرية العدد 4 ، سبتمبر 2017 ، ص 53 .

مراحل حياته الغامضة مع بداية العصر لحديث ، فأعطى هذا الكتاب صورة مفصلة عن إفريقيا و اعتمد عليه الباحثين كمصدر جغرافي في تصحيح ورسم الخرائط وضبط كل ما يتعلق بإفريقيا.

يتألف الكتاب من تسعة أقسام أطلق الوزان على كل قسم منها لفظ (كتاب)، في القسم الأول تدقيقات تتعلق بعلم الجغرافيا و الترحال و مشاهدة البلدان و توضيحات حول جغرافية إفريقيا العامة و مناخها، و خصائص شعوبها و أخلاقهم و عاداتهم وتقاليدهم، وسبب تسمية قارة إفريقيا، " مجزءا فيه إفريقيا تجزيئا عموديا باعتبار مميزاتها النباتية والاقتصادية لأربعة أجزاء و هي:

أ- بلاد البربر شمال جبال الأطلس الممتدة من تخوم مصر شرقا إلى المحيط الأطلنطيكي غرب .

ب- بلاد الجريد جنوب جبال الأطلس التي كان الرومان يطلقون عليها نوميديا.

ج- الصحراء الكبرى المترامية بعد بلاد الجريد.

د- بلاد السودان الواقعة وراء الصحراء " [1].

قام بتقسيم هذه الأجزاء الأربعة لعدة أقسام لاختلاف نظم الحكم و الفوارق الطبيعية، كما تحدث عن سكان إفريقيا و أصلهم و قبائلهم و طبائع الأفارقة، و الديانات المنتشرة فيها على الخصوص الاختلافات الدينية بين المسلمين في أوروبا و آسيا.

بالإضافة إلى ذلك تحدث عن اللغات المنتشرة فيها متسائلا إذا كانت للإفريقيين لغات أصلية خاصة بهم ، كما أشار لجملة من الفنون و العلوم الرياضية و الفلسفة والتنجيم

[1] - حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، محمد حجي و محمد الأخضر ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص15 .

المولعين بها "[1]، أما القسم الثاني أو الكتاب الثاني كان عند مدينة مراكش " تحدث فيه عن مساحتها، وتأسيسها وتطرق لتصميمها مشيرا للرحلة التي قام بها عمه كسفير من ملك فاس إلى ملك تمبكتو، ومن هنا تحدث عن وطنه الذي عاش فيه و أصل كل مدينة ومؤسسها و سبب تسميتها و التطورات التاريخية التي مرت بها. وفي الكتاب الثالث تحدث عن فاس ذاكرا كل شاردة و واردة عنها من وصف للمدينة ومنازلها و مدارسها وجوامعها و مستشفياتها و حمامتها، و أسواقها "[2]، كما ذكر عادات السكان في الزواج وفي الاحتفالات الدينية من أكل و شرب، و تحدث الوزان عن عدة مدن كفاس الجديدة المسماة المدينة البيضاء ومدينة الرباط والمعمورة، ويصف مدينة مكناس متحدثا عن موقعها و تسميتها، وينتقل للحديث عن مدن المغرب كمدينة القصر الكبير ومدينة أصيلا ذاكرا تاريخها، و" يخصص الكتاب الرابع للحديث عن مملكة تلمسان محددا حدودها التاريخية، و الحكم فيها ومساجدها و معاهدها و العادات المتبعة في قصور حكامها ، منتقلا إلى الحديث عن وهران و مستغانم ثم الجزائر.

أما الكتاب الخامس فهو عن مملكة بجاية وتونس ، يصف فيه مدن بجاية و قسنطينة وبونة و قرطاج تونس و المهدية و القيروان وقابس ، متحدثا فيها عن آثار كل منها والأعمال التي يقوم بها السكان من عادات و تقاليد و طغيان الظواهر الطبيعية و الجغرافية فيها بالإضافة إلى استيلاء الاستعمار عن ممتلكات و أراضي بعض من المدن المذكورة.

[1]- شوقي عطال الله الجمل ، الحسن بن محمد الوزان و إنتاجه الفكري و المؤثرات التي تأثر بها ، المناهل ، العدد 2 ، 1 مارس 1975 ، ص من 259 إلى 264.

[2]- المرجع نفسه، ص من 259 إلى 264.

و في الكتاب السادس تحدث فيه عن طرابلس و وصف صحراء ليبيا و قد قسمها إلى خمسة أقسام حسب القبائل التي تغلب على كل قسم منها "[1].

وفي الكتاب السابع " جاء فيه الحديث عن ممالك السودان الغربي (أرض الزنوج) التي حددها بخمس عشرة مملكة كمملكة جني التي تحدث عن حدودها ومساحتها و غلالها، بالإضافة إلى مملكة مالي دارسا مساحتها وشواطئها و تميز مستشفياتها ومعابدها، أما مملكة تمبكتو فذكر مؤسسها ومعبدها وتحدث عن قصرها الملكي والتقاليد المتبعة فيها، في حين أشار إلى مملكة جاو بذكره لموقعها و صدارتها في الأسواق أما مملكة جوبير ذكر أراضيها والغزو الذي تعرضت له من قبل تمبكتو، بالإضافة إلى مملكة بورنو و تميزها بالذهب الكثير كذلك وصف أهاليها و العبيد التي اعتبرت سلعة رئيسية فيها، و يصف ليو مملكة النوبة وحدودها مع مصر، ذاكرا أشهر مدنها و تجارتها مع مصر وخليط سكانها من العرب و البجه و الزنوج.

و قد خصص الكتاب الثامن لمصر متحدثا عن أصل تسميتها و تواجد نهار النيل فيها، مشيرا لمضارب الأرز فيها و التجارة فيها كما ذكر الجزر المحاذية فيها و عادات سكانها وقصور لمماليك المميزة " [2]، أما الكتاب التاسع و الأخير فقد ضم الأنهار الرئيسية كنهر النيل ونهر تشيفت والبعض من المنابع وأشار إلى الحيوانات الريبة كالفيلة والجمال السريعة والخيل والنعام والطيور الجارحة وبعض الحيوانات المائية كالتمساح والجراد، وذكر بعض المعادن الإفريقية كالملح والكحل والفضة والذهب والنحاس، وأشار إلى عدة أشكال من النباتات كالصمغ والقطران والجميز وغيرها...

[1] - شوقي عطال الله الجمل ، الحسن بن محمد الوزان و إنتاجه الفكري و المؤثرات التي تأثر بها ، المناهل ، العدد 2 ، 1 مارس 1975 ، ص 264-265 .

[2] - المرجع نفسه ، ص من 266 إلى 268.

بالإضافة إلى ذلك تحدث عن ثلاث إمبراطوريات أخرى وهي برت جون والمونوموتايا ومملكة المغرب وذكر بعض مناطق الإستعمار الإسباني والبرتغالي كما قام بدراسة المعتقدات الدينية المنتشرة بين الأفارقة.

"إن الصورة التي رسمها ليون الإفريقي في كتابه وصف إفريقيا لا زالت أصولها شاخصة إلى الآن لم يغير الدهر منها شيئا، وإن الناظر إليها اليوم سرعان ما يشعر وكأنه يرجع أدراجا إلى عهود فاس القديمة وشياطر أهلها الحياة برهة من الزمان"[1].

[1] عبد الله الحاجي، رحلة الحسن الوزان المعروف بـ Jean Leon L'africain إلى دولة إفريقيا جنوب الصحراء، مج 1 مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، العدد 06، المغرب، 2020/12/01، ص214.

ثانيا : تجليات التاريخ و الذاكرة في كتاب وصف إفريقيا :

يعد كتاب وصف إفريقيا من أهم الكتب و أثمنها من حيث جغرافيتها يساعد الباحث في التأريخ لإفريقيا، إذ يستفاد من كل معلوماته في مختلف الجوانب التاريخية والسياسية والثقافية والجغرافية والإيديولوجية، إذ قدم الوزان من خلاله العديد من الرموز والإشارات التاريخية في كتابه المأخوذ من واقع الأماكن التي زارها وكل ما تعلق بها من ثقافة و دين و سياسة و جغرافيا... و غيرها، معتمدا على ذاكرته التي كانت المسار الحقيقي للوصول إلى فحوى هذا الكتاب من خلال ما حمله من مشاهد و ذكريات جعلته يخلدها في كتابه.

1- التاريخ:

أ- التاريخ الإفريقي:

اعتبر كتاب الحسن الوزان من الكتب الجغرافية التي اشتغلت على التأريخ لإفريقيا عن طريق المعلومات التاريخية التي حملها ، إذ أشار إلى تأسيس مدينة القيروان من طرف عقبة بن نافع " أسس مدينة القيروان على بعد نحو 120 ميلا من قرطاج "[1]، كما تحدث عن توسعات العرب نواحي مراكش ودكالة فذكر "كانوا محررين من المخزن إلى أن احتل البرتغاليين آسفي و آزمور " [2] و كانت هذه الإحتلالات السبب الأول في تدمير مملكة فاس و اختلال توازنها، بالإضافة إلى ذلك وضح الوزان التغيير السياسي الذي حدث مع بداية القرن العاشر هجري عند اكتشاف البرتغاليين لسواحل غرب إفريقيا وإقامتهم علاقات سياسية مع بعض الممالك ، فساهمت هذه العراقيل في توسعات البرتغاليين على نطاق واسع متمكنين من مدينة تيوت سنة 1514 فذكر " وبمجرد ارتحالنا عن هذه المدينة هدمت

[1] - الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 40 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 63 .

و قتل بعض سكانها و حمل الآخرون أسرى إلى البرتغال وذلك سنة 920 هـ "[1] وكانت هذه معركة بولعوان الحافلة بالقتلى والأسرى .

بالإضافة إلى هذه المعارك نتجت مجزرة أخرى كان السبب فيها البدعي عمرو السياف في حصن إيمجياجن راح ضحيتها أطفال و نساء في قوله " حيث قتل الأطفال الصغار وبقر بطون النساء الحوامل و أخرج الأجنة "[2]. و على إثر واقعة الحروب كانت معركة العقاب المشؤومة عام 609 هـ من أشد الحروب التي تعرض فيها الناصر للهزيمة في مملكة يلتيبة مخلفا وراءه ستين ألف رجل ما بين الفرسان والمشاة، كما أقدم الوزان على الحديث عن المعاهدة المالية التي تمت بين فارس و البرتغاليين سنة 894 هـ بمدينة تيشميش و ذلك لاسترجاع بنات ملك فاس اللاتي كن أسيرات عند البرتغال فأشار إليه قائلا " ثم فكر أنه سيعرض للخطر أرواح كثيرة ... فدخل في مفاوضات مع قائد الأسطول و تم الاتفاق بدفع غرامة حربية ضخمة "[3].

تعرضت تلمسان لسيطرة الرومان في القديم أوائل القرن السابع وكان ذلك مع الفتح الإسلامي، لكنها بعد الجهاد استطاعت أن تعود تحت سيطرة ملوكها لبرهة من الزمن اضطهدت مرة أخرى من قبل فاس، بعدها تعرضت للسيطرة من جهة تونس سنة 1424.

[1]- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 103 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 123 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 310 .

كما أنها تعرضت للحصار من قبل ابو يعقوب عام 628 هـ إذ أنها " تضررت كثيرا جراء الحصار المضروب عليها من طرف أبي يعقوب ... ودام الحصار سبع سنوات "[1] .

كانت الجزائر خاضعة لتلمسان و استسلمت أيضا لملك بجاية فصارت بعد السيطرة، تقيم غارات على اليابسة وصولا لشواطئ إسبانيا مما زاد الطين بلة، فأمرت إسبانيا بعمل حصار على الجزائر إلى أن اضطرت الجزائر للقيام بمعاهدة مع إسبانيا سنة 1510 من أجل وقف الحصار لمدة من الزمن، ومن هنا نستنتج أن الجزائر قبل أن تتعرض للاستعمار الفرنسي- كانت خاضعة لبجاية وهذا كان قبل التقسيم الإداري الذي نعيشه في عصرنا هذا لأن الجزائر في القديم كانت تعيش النظام الملكي أي كل منطقة إما ملكها الخاص الذي كان يحكمها آنذاك، وبالنسبة لتأسيسها فنجد أنها تأسست على يد الفينيقيين واحتلها الرومان وخربها الوندال والبربر ثم تحررت مع الناصر الحمادي سنة 468 هـ، بينما احتلال إسبانيا لها فلم يكن طويل المدى وقام باشا الجزائر صالح رايس باسترجاعها عام 962 هـ مشيرا إلى ذلك الوزان في قوله " واستمرت السلطة الملكية طويلا في أسرة أمير بجاية إلى أن انتزعها منهم الملك فردناند بقوة السلاح، و المقدرة الجريئة لبيبر نافارو واسترجعها صالح رايس "[2] .

نجد مملكة تونس قد تعرضت لتخريب منذ القدم وأعيد بناؤها ونهضت فيها مدينة القيروان التي أسسها عقبة قائد جيوش الجزيرة العربية الصحراوية، لكنها لم تطل و دمرها أعراب لبني هلال و استرجعها عبد المؤمن مما جعل القيروان تعيش في آمن و سلام في عهد ملوك مراكش، لكنها توالت عليها الإحتلالات والاستعمارات إلى عهد الاستعمار الفرنسي- و تحررها منه جعل منها الآن دولة قائمة بذاتها وممتدة على جمهورية واحدة بعيدة كل الملك

[1] - الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج2 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 7 .

[2] - المرجع نفسه، ص 49 .

عن نظام الملوك القبلي، بينما بلاد السودان فكانت تحت إمرة الملك سنغي الذي كان أصله زنجي من قول الوزان " أن ملك تنبكتو الحالي هو أبو بكر آسكيا من الجنس الأسود " [1].

كما تكلم الوزان عن قدم الإسلام في مملكة مالي مشيرا أنهم كانوا السباقين إلى اعتناق الإسلام فحكمهم يوسف بن تاشفين ملك مراكش، وبالإضافة إلى مملكة مالي كانت مدينة تنبكتو أيضا لا تتناسب مع اليهود و هذا لكره ملكهم لهم في قوله " هذا الملك عدو لذود لليهود لا يريد أن يقطن أحد منهم هذه المدينة وإذا علم أن تاجر من بلاد البربر يخالطهم صادر أموالهم " [2]. وعليه فالتاريخ في قارة إفريقيا اختلف من مكان لأخر ومن ملك لغيره و كان المتحكم فيه هو الزمن و المكان اللذان كانا عنصرا أساسيا في تشكيله.

أما حديثنا عن اليهود فقد كانوا متواجدين في الحواضر الصحراوية في توات و تيكورين لهم نفوذ تجاري لكنهم لم يلبثوا طويلا وطردوا في قول الوزان " و كان بعض اليهود الأغنياء يقيمون تيكورين ... فأدى ذلك لنهب أموالهم و تقتيل معظمهم " [3].

وإلى جانب حديثنا عن هذه المعارك و الحضارات و الانتماءات فنجد أن مصر- حكمها الفراعنة منذ القدم أي بعد أن سقطت في يد الرومان مع ظهور محمد عليه السلام الذي جاء و كان حاملا معه الدعوة الإسلامية فنشرها و آمن الكثير بها فأصبح سكان مصر- تقريبا مسلمين و مع فتح عمر بن العاص لها ترك حرية اختيار الديانة الشعبية.

[1]- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج2 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 160 .

[2]- المرجع نفسه، ص 167 .

[3]- المرجع نفسه، ج1، ص 134 .

ب- التاريخ الجغرافي:

قام الوزان في كتابه " وصف إفريقيا " بتحديد المواقع الجغرافية لكل مدينة يزورها مبرزا تفاصيل كثيرة حول تلك المدينة، فبدأ بحدود إفريقيا الجغرافية من بدايتها حتى نهايتها مشيرا إليها " فتبتدئ إفريقيا شمالا من مصب النيل و تمتد غربا إلى أعمدة هرقل ثم تمتد غربا من هذا المضيق إلى نون " [1]، و هنا تصوير بارز لما كان في خريطة الوزان من تحديث، بينما بلاد البربر فوجد أنها يحدها شرقا جبال ميس ومن الشمال البحر المتوسط أما غربا أعمدة هرقل، كما نجد الوزان حدد بلاد نوميديا و تحدث عنها " تقع على نحو مائة ميل من مص، ويمتد غربا إلى نون ساحل المحيط و يصل شمالا إلى سفح الأطلس الجنوبي " [2]، بينما ليبيا فهي كانت مجاورة لنوميديا تمتد غربا إلى المحيط و شرقا إلى الواحات.

نعتبر الوزان من خلال نصوصه المقدمة أنه قد نقل لنا المعايير الجغرافية و ضمها لتاريخ البلدان و هذا من أجل إبراز مكانة البلاد و تحديد موقعه الكامل و كان الهدف من تقديم هذه التحليلات الجغرافية هي أن تكون محور لدراسة الباحثين و المؤرخين، أما بالنسبة للمواقع الأخرى فنجد أنه قد عبر عن حدود السودان بقوله " تبتدئ شرقا بمملكة كاوكة ويمتد غربا إلى مملكة ولاته و يناخم في الشمال صحراء ليبيا و ينتهي جنوبا إلى المحيط " [3]، و بالإضافة إلى ذلك وضع الوزان نوعية النشاط التجاري في مملكة مراكش وبالتحديد الإقليم الغربي حاحا إذ شمل على إنتاج العسل والزيتون والقمح وكذا الشعير والدخن والذرة و هذا يدل على وفرة الإنتاج الزراعي و تنوع النشاطات الزراعية و بالتالي تكون هناك معاملات اقتصادية بين الممالك.

---

[1]- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 28 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 29 .

[3]- المرجع نفسه، ص 29 .

أما مدينة أديكيس فهي تقع في السهل و تبعد ثمانية أميال جنوبي تكوليت تقوم بعدة نشاطات اقتصادية أولها السوق و الذي يحظى بالكثير من الإقبال خاصة لما فيه من تجارة في البهائم و الزبد و الزيت والمرجان، بينما تيبوت فتكثر فيها إنتاج القمح و الشعير و السكر الأسود الذي يصدر إلى بلاد النيجر و مراكش، كما أشار الوزان لحدود فاس في قوله " تبتدئ مملكة فاس من نهر أم الربيع غربا لتنتهي غلى نهر ملوية شرقا و في الشمال يحد قسم منها بالبحر المحيط و سائر بالبحر المتوسط " [1] ، وهذا ما نراه واضح في خريطة الكتاب التي صنفها الوزان ضمن ملحقه.

أما بلاد السودان فكانت من المدن الغنية بشتى الإنتاجات و هذا لاختلاف الزراعات فيها و تنوعها ، إذ ذكر الوزان حدود غينيا بأنها " يحدها شمالا ولاته ، و تنبكتو في الشرق ومالي في الجنوب " [2] ، حيث ازدهرت بإنتاج الشعير و الأرز و القطن و كانت تزخر بثروة حيوانية من أسماك و ماشية بالإضافة إلى المعادن من ذهب و نحاس و حديد، بالإضافة إلى ذلك تطرق الوزان للثروة الحيوانية التي تزخر بها إفريقيا نذكر بعضا منها : الفيل يتواجد في بلاد السودان، الزرافة في نوميديا و ليبيا بالإضافة إلى الحمار الوحش والغنم و الإبل و كذلك الأسد، كما تحدث عن الثروة المائية التي تزخر بها إفريقيا تمثلت في النيل و نهر السوس ، نهر واد قابس ، واد البربر ، واد العبيد ، و نهر تشنيفت ، نهر الشلف ... و غيرها .

و هذا دليل على أن إفريقيا غنية بالمواد المائية و الثروات الحيوانية و كذا تتمتع بكم وفير من النشاطات الاقتصادية و التجارية و تزخر بتنوع في الزراعة بين المنطقة والأخرى.

[1] - الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 193 .

[2] - المرجع نفسه ، ج2 ، ص 162 .

دعم الوزان كتابه بخرائط جغرافية مرفقة للممالك التي تحدث عنها، وهذا من أجل توضيح المواقع و تبيان حدودها و تسهيل الأمر على الباحثين و المؤرخين وكذا المستكشفين على تعيين المناطق و دراستها.

ج- التاريخ الديني:

أشار تاريخ الأديان منذ القدم إلى سجل من الأفكار و التجارب العقائدية التي اعتقدها الإنسان منذ سالف الأزمان ، ففي كتاب الحسن الوزان " وصف إفريقيا " تطرق فيه لمجموعة من المعتقدات الدينية التي اختلفت و تنوعت من منطقة لأخرى، و هذا راجع لتوارث الديانات عبر الأجيال التي كانت تعيش في تلك المناطق آنذاك و كذا التنوع العرقي المتواجد بين سكانها تعرض الوزان أثناء رحلاته للديانة الوثنية التي كان الأفارقة في القديم يعتنقونها ويتخذونها مبدأ أساسيا في حياتهم ، إذ كانوا يعبدون الأصنام و يمارسون شتى طقوسها، أما الفرس فقد كانوا يقومون بعبادة مظاهر من الطبيعة كالنار و الشمس واتخذوا لأنفسهم معابد توقد داخلها النار و تحرس من قبل الحراس لكي لا تنطفئ لأن النار عندهم كانت رمزا لآلهة الخير التي تمدهم بالمعرفة و الخيال الشعري الخصب، و بالنسبة لأفارقة نوميديا وليبيا كانوا يعبدون الكواكب و يقدمون لها القرابين لأنهم يعتبرونها مصدر للحياة ويرمزون لها بصور في أماكن عبادتهم.

تحدث الوزان عن الأفارقة السود الذين عبدوا " كيفيمو "، و هو رب السماء لكنها لم تدم هذه الديانة و اعتنقوا الديانة اليهودية إلى أن أصبحت بعض الممالك مسيحية في قوله " وبعد ذلك اعتنقوا الديانة اليهودية طوال سنين عديدة إلى أن أصبحت بعض الممالك مسيحية فدانوا بالمسيحية وأخلصوا لها "[1].

[1]– الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 ، ص67 .

بينما ديانة السودانيين الذين كانوا يسكنون ساحل المحيط فكانت وثنية يعبدون الأصنام من الحجارة ويقدرونها، كما هو الحال مع بلاد البربر فهم كذلك وثنيين اعتنقوا المسيحية قبل مولد محمد عليه السلام وهذا راجع للسيطرة التي كانت متشددة من قبل الأمراء على منطقة تونس و طرابلس ، بينما القيصرية وموريطانيا نجد أنها كانت تحت سيطرة ملوك القوط (الوندال) أدت إلى هروب الأمراء المسيحين للمناطق التي تنمو فيها الديانة المسيحية، لكن بعد أن جاء العرب و فتحوا بلاد البربر فقد حرروها من الديانة المسيحية و كان الإسلام دينها، ولم يتقبل البعض هذه الديانة و لبثوا على ديانتهم لكنهم تعرضوا للقتل و بعد مجيء الشيعيون و دخلوا البربر فتمكن الإسلام من هذه البلاد نهائيا، و بالنسبة لأهل ولائة فقد انتشرت عندهم كذلك عبادة النار عند جزء منهم أما الجزء الأخر فقد اعتنق الديانة المسيحية، بينما أشار الوزان أن هناك من القبائل من لا دين لهم كأهل بورنوا الذين لا ينتمون لأية ديانة فكانوا كالوحوش لا يعتنقون لا مسيحية و لا نصرانية ولا يهودية ولا إسلامية.

و عليه فالديانة عند السكان كانت بمثابة الركيزة الأساسية التي تنمو بها الروابط القبلية ومهما اختلفت الديانات بين البشر- فيبقي الوازع الديني هو المتحكم الرئيسي- في ثقافة البشر- وحضارتهم.

د- التاريخ الأنثروبولوجي :

تناول الوزان في كتابه " وصف إفريقيا " عدة جوانب أنثروبولوجية مست عادت و تقاليد الشعوب من مأكل و مشروب و لباس و ثقافة بلدانهم ، كما تطرق إلى تحليل طرق عيش المجتمعات فيما بينهم و كيفية توطدهم ، فاختلفت هذه الجوانب من مملكة لأخرى و تنوعت ثقافاتهم و اتسمت ببصمات تميز كل منطقة عن الأخرى.

تحدث الوزان عن عادات الأفارقة بصحراء ليبيا و ميزها في قوله : " يتركب لباسهم من عباءة ضيقة من الصوف الخشن و يضع كل واحد منهم على رأسه قطعة من النسيج الأسود على عمامة ويتميز الأعيان و الأشراف من غيرهم بقميص طويل عريض الأكمام من القطن "[1]، وعليه فإن صفة اللباس في صحراء ليبيا كانت تخضع لبعض التميز إذ أن لباس العامة لا يكون كلباس كبار الأسياد من أعيان و أشراف... و غيرهم و بهذا يمكن تمييز عامة الشعب من غيرهم، و من جهة طرق عيشهم و مأكلهم فنجدهم حسب قوله " ليس من عاداتهم أن يأكلوا الخبز و لا أي طعام مطبوخ... تعودوا أن يشربوا في الصباح ملأ إناء كبير من اللبن الساخن "[2]. و هذا راجع لكثرة الإبل التي كانوا يملكونها فيستعملون حليبها في الشرب وكذا أكل القديد المطبوخ فيه .

هؤلاء السكان لم يكن لهم قانون و لا شرع يخضعون له بل كانوا يعيشون على نظام الملوك لهم أمير شبه ملك يتولى شؤونهم ، و هذا راجع لطبيعة حياتهم البرية البعيدة عن المدن المتحضرة، كما أشار الوزان للجهل الذي عانوا منها لأن معظمهم أميون لا يفقهون المعارف ولا الدراسات.

[1]- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 ، ص58 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 58 .

و من جهة أخرى فقد قدم الوزان وصفا لعرب نوميديا و ليبيا من حيث عاداتهم و أعراف شعوبهم و كذا طريقة عيشهم رغم اختلاف مساكنهم، إذ أشار في قوله " عرب نوميديا وليبيا يعيشون عيشة فقر و بؤس مدقع "[1] و هذا لعدم توفر ظروف العيش الحسنة لهم، لكنهم رغم ذلك فهم مقتنعين بالعيش البسيط ، لهم كثير من الخيول التي يستعملونها للصيد حسب قول الوزان " يخرج هؤلاء العرب دائما لصيد الغزال و حمار الوحش و النعام والرامث ... "[2] وذلك ليقتاتوا منها و يقاموا للعيش في البيئات الصعبة ، بينما سكان العرب القاطنون بإفريقيا بين الأطلس والبحر المتوسط فكانوا أكثر هناء وغنى لما يمتلكونه من خيول و أغنام و بقر، لا يتمركزون في مكان واحد بل يعيشون عيشة البادية بتميز سكانها بالوحشية وذلك لافتقادهم لكل شيء في تلك المناطق، أما العرب القاطنون بالصحاري المجاورة لمملكتي تلمسان و تونس يعيشون حياة رغيدة و يستعينون بالإعانات المالية لتقليل من الفتن و العيش في سلام في قبيلتهم و هذا لكثرة الاختلاف المتواجدة في وسط القبيلة، ومن عاداتهم ذكر الوزان " أن يذهبوا صيفا على ضواحي تونس ليزودوا منها ..... من طعام و لباس و سلاح و يرجعون إلى الصحراء ليقضوا الشتاء و في الربيع يتسلون بالصيد "[3]، ويعود قضاء حاجاتهم هذا من البلدان المجاورة لافتقار صحاريهم للمؤن والأطعمة وقلة السكان فيها الذي سبب اندثار طرق العيش في تلك الصحاري، بينما نساؤهم فكانت من عاداتهم "يرتدين لباس حسنا حسب عادة البلاد و هو قميص أسود

[1]- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 61 .

[2]- المرجع نفسه، ص 62 .

[3]- المرجع نفسه، ص 63 .

واسع الأكمام، يجعلن فوقه خمارا أسود أو أزرق يلتحفن به ... و يضعن أقراطا عديدة من الفضة و خواتم في أصابعهن و أسوار في أيديهن "[1].

اختلفت عادات الزواج عندهم عن باقي المناطق الأخرى خاصة في طرق وضع الحناء حسب قوله " يخصبن بالحناء وجوههن و صدورهن و أذرعهن و أيديهن .... "[2]، و تبقى هذه العادات الغريبة من نوعها تميز العروس عن غيرها حافظن على هذه العادات مع مرور الأجيال، أما سكان بلاد البربر و مصر- الذين يعيشون في الصحارى يعشون عيشة بسيطة بما تحمله أرضهم من غذاء يتميزون برعي الغنم و الجمال تقوم عندهم زراعة القمح بكميات قليلة و ذلك راجع لعدم وفرة المياه و الأراضي الصحراوية القاحلة ، التي كانت السبب الأول في قلة محاصيلهم الزراعية و عدم توفر الإنتاج الوفير، بالإضافة إلى ذلك اعتمد سكان حاحا على تربية الماعز و الحمير لضمان عيشهم و يتغذون على خبز الشعير و العصيدة و اللبن و العسل ، أي كل ما تنتجه أيديهم من مأكل ومشرب يختلفون في اللباس عن بقية القبائل و من عاداتهم في اللباس أن " يلبس معظم الناس ثوبا من الصوف ... و يأتررون بنوع من فوط الصوف ... "[3]. و هذا نظرا لعيشتهم الباردة في الجبال، لا يعرفون التعليم و لا يحسنون القراءة إلا قلة منهم ولا يتواجد أطباء لهم لأنهم يقومون بالتداوي بالأعشاب الجبلية، بنا تحدث عن مدينة تيدسي الوفيرة والغنية بالخيرات، إذ ذكر أن سكانها مهذبون لهم نظامهم الجمهوري يحكمهم ، لا يعيشون حياة البطش و الفوضى وذلك في قوله " حيث يحكم البلاد ستة أشخاص يختارون بالقرعة و يعوضون بآخرين كل

[1]- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 64 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 64 .

[3]- المرجع نفسه، ص 97 .

ستة عشر شهرا "[1] وهذا دليل على تحضر سكان المنطقة و بعدهم كل البعد عن حياة الجبال الوحشية.

يلعب الموقع الجغرافي في القديم دورا كبيرا في ثقافة المدن و تحضرها ويعمل على توفير كل الإنتاجات الزراعية و الحيوانية التي يحتاجها الفرد، بالإضافة إلى هذا نجد ناحية جزوالة التي يتميز سكانها بالخشونة حسب قول الوزان، لا يملكون مالا ليعشون به ولا يتبعون أية إقليم أو مملكة ، لهم عادات كثيرة في اللباس نذكر منها قوله " يرتدون قمصانا قصيرة من الصوف دون أكمام ضيقة ملتصقة بالأجسام "[2] . و يمكن أن يكون البعد الحضاري و الثقافي في هذه القرية هو المتسبب في لباسهم الذي يشبه كثيرا لباس العصر الحجري ، و كذا عدم امتلاكهم للمال دليل على عدم اختلاطهم بالآخرين، بينما أهل مدينة فاس فكانوا حسب الوزان أناس محترمون و مثقفون لهم عادات و تقاليد يحترمونها ويعيشون عليها ، فنذكر " يرتدون في الشتاء ملابس من قماش الصوف المستورد ..... لا يلبسون الجوارب ..... فوق الحذاء "[3]، فلباسهم المستورد يعبر على أن أهل فاس كانوا يجوبون أطراف الحضارات المختلفة، و يتمتعون بثقافة الاستيراد والتصدير والنشاطات التجارية.

اختلفت عادات اللباس عندهم بين الأعمار من رجال و شيوخ ، بينما النساء فلباسهن كان عبارة عن "قميص يحزمنه بنطاق لا يخلو من قبح ..... و عندما يخرجن يلبسن سراويل

[1]- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 119 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 145 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 252 .

طويلية تستر كل سيقانهن "[1]، و بالنسبة للطعام الذي يقتاتونه فكان عبارة عن اللحم الطري و الرغيف و ذلك لما كانوا يمتلكونه من أغنام و أبقار يعيشون عليها.

تباينت عاداتهم في الزواج عن باقي المناطق الأخرى، إذ كانوا يقدمون للعروس المال في قوله " يقدم في العادة المدنيون من متوسطي الحال مثقالا نقدا و جارية سوداء قيمتها خمسة عشر مثقالا ..... "[2]. و يعتبر هذا مهر العروس الذي تطلبه عند الزواج .

قسم الوزان مملكة تلمسان لعدة مدن في القديم و اختلفت عاداتها بين المدينة والأخرى، فقدم لنا الوزان سكان مدينة وجدة و ميزهم بتحضرهم و شجاعتهم و ثرائهم، يربون الحمير ويتكلمون اللغة الإفريقية القديمة رغم تحضرهم إلا أنهم حافظا على أصالتهم وعراقتهم الأصيلة، انقسم أهل تلمسان لأربعة طبقات تتميز كل طبقة عن الأخرى فكان فيها الصناع و النجار و الطلبة، والجنود في قول الوزان " فالتجار أناس منصفون مخلصون جدا .... والصناع أناس أقوياء يعيشون في هناء ومتعة، ..... أما الجنود فكلهم أناس ممتازون ..... والطلبة أفقر درجة فقهاء "[3]، إذ كانت مدينة تلمسان يحكمها نظام الطبقية الاجتماعية لكل صنف سماته الخاصة، و كان هذا من الأسباب التي جعلت البلاد تحت وطأة الاستعمار والحروب لمدة طويلة دامت أربعين عاما.

ذكر في مدينة تنبكتو المتواجدة في مملكة السودان أن نسائها متحفظين يحافظون على حجابهم في قوله " ما زالت لنساء المدينة متحجبات باستثناء الجواري اللائي يبعن كل

[1]- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 252 .

[2]- المرجع نفسه، ص 254 .

[3]- المرجع نفسه، ج2، ص 21 .

المطموعات "[1]، إذ تنقسم النسوة في ذلك الوقت إلى المتحفظات الكريمات المرفوعات الشأن و بين الجواري التي كانت تبيع أنفسها.

فكل هذه الاختلافات بين المدن و الممالك خاصة في العادات و التقاليد و طرق عيشها وطبيعة الإنسان و غيرها كان المتمكن منها و الناقل لها هو الوزان الذي كان سببا في تعرفنا على مختلف التواريخ البشرية منذ القدم.

هـ- التاريخ السياسي:

مما لا شك أن المهام السياسية المسندة للحسن الوزان و نشاطاته الدبلوماسية والتجارية وتسجيلاته التي نقلها عن طريق مشاهداته مكنته من الكتابة و التأريخ عن الأماكن التي زارها و كانت بالنسبة له خطوة سياسية بين قادتها و زعمائها.

تحدث الوزان في كتابه عن منطقة أصيلا المتواجدة في مملكة فاس التي شهد فيها على محاصرة منطقة أصيلا من قبل البرتغاليين عام 876 م في قوله " هاجم البرتغاليين أصيلا على غرة و استولوا عليها وأخذوا كل ما وجدوا بها من السكان أسرى إلى البرتغال ....."[2] وغيرها من الحضارات التي كانت بين الإنجليز، و الفاسيين، والقوط (الوندال) وهذا من أجل أخذ منطقة أصيلا التي كان موقعها الاستراتيجي على المحيط الذي يعد المرسى لمضيق أعمدة هرقل هو المتسبب في هذه الحضارات المتتالية عليها، كما قام بزيارة لمنطقة تادلا في مدينة تفزة تعرف فيها الوزان على الشريف السعدي محمد الذي بويع أمير للجهاد في جنوب تلك المنطقة فشهد آنذاك على العلاقات الطيبة التي كانت بين فاس و إمارة السعديين القائمة على ضرورة التعاون فيما بينهم من أجل طرد المسيحيين، إذ أنهم " طلبوا من الملك

[1]- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 166 .

[2]- المرجع نفسه، ص 312 .

التفضل بمساعداتهم من أجل العودة لمدينتهم و في المقابل تكلفوا له بنشر نفوذه ..... "[1] وكانت هذه المفاوضات من أجل الحفاظ على البلاد لما حل فيها من انقسامات و خلافات بين شعبها آنذاك كل يحاول أخذ رئاسة المدينة و إبراز قدراته، كما ذهب الوزان في مهمة سياسية لبلاد السودان مع عمه عام 917 هـ كسفير لملك تنبكتو محمد الكبير حاكم بلاد السودان و ذاق عيشة الرؤوساء و كرمهم في إفريقيا.

أما مهمته السياسية التي زار فيها القبائل المتواجدة في جبال داداس متجولا فيها سبعة أشهر لقوله " لم أندم على ذهابي إلى أي مكان بإفريقيا ن غير هذا المكان و قد كنت مضطرا إلى المرور بهذا الجبل لذهاب إلى مراكش بالتحديد سجل ماسة امتثالا لما أمرت به عام 918 "[2]، و طول هذه الرحلة السياسية جعل الوزان يقيم في جبال داداس الموحشة، لكي يستطيع إكمال وجهته، بالإضافة إلى ذلك ذهب الوزان لبلاد حاحا مكلفا بالاتصال بالأمير السعدي محمد، وكانت هذه المهمة من أجل توطيد الأمن و السلام بين السكان لما عنوه من معارك وحروب فيما بينهم، و بالنسبة لذهابه من مراكش إلى سوس عبر جبال إمزمير كانت مهمته فيها أن يلتقي كذلك بالشريف السعدي و ربط الصلات مع الأمير الناصر الهنتاني، و ذلك بتقديم المساعدة لما كانت يمر به من وقت عسير بسبب معركة بولعوان التي خسر فيها رجالا عدة، أما ذهابه للحجاز عام 921 فذهب إليها مع ركب الحجاج محملا برسائل التوصية التي كانت من قبل الملك لأحد إخوته ، بالإضافة إلى ذلك ذهب إلى الأستانة و خرج إليها لأداء فريضة الحج و لقاء السلطان سليم الأول سفيرا لديه من قبل ملك فاس محمد الوطاسي.

[1] - الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 177 .

[2] - المرجع نفسه، ص 189 .

و كانت أخر رحلة للوزان السياسية هي للبلاد الليبية و التونسية لكنه وقع أسيرا للقراصنة أثناء عودته و لم يعد إلى المدينة و نقل لإيطاليا مقدما كهدية للبابا و كان هذا السبب الأول لكتابة هذا الكتاب و التطرق إليه.

2- الذاكرة

تعد الذاكرة صديقة الرحالة و عدوته في الآن نفسه، يمكن أن تفيده في جمع شظايا ذكرياته المتفرقة وتستردها له ليتذكرها و يمكن أن تخونه و يكسرها النسيان فتعطيه تلميحات غير متكاملة عن ما سيتذكره فتبقى له بقعة فارغة وسط ذكرياته .

فهناك من الرحالة من يقوم بتدوين مذكراته تحمل فيها ما تشاهده من أماكن و حضارات واختلافات بين الثقافات، بالإضافة إلى أحاسيسه و مشاعره اتجاه هذه الرحلات إذ يجعل منها عبارة عن ذاكرة يعود إليها عند الحاجة ، فمع مرور الزمن يمكن أن تتذبذب ذاكرته و لا يستطيع تذكر كل الأحداث التي مر بها في تلك الرحلة فيجد هذه المذكرات أو المدونات كذاكرة جديدة يستعين بها لتجديد ذكرياته ، ففي كتاب الحسن الوزان " وصف إفريقيا " نجد أن هناك ذاكرتان الأولى ذاكرة الوزان نفسها من خلال تجربته الشخصية و كل مشاهداته و ما سمعته أذنيه و ما قام به من أعمال و دونه في مدونته و نقله لنا عن طريق كتابه و الثانية ذاكرتنا نحن كمتلقين لهذا الكتاب، إذ نعيد إحياء ما كتبه بتذكرنا لرحلته وأثرها عليه وعلى الأجيال القادمة بعده من كتاب ومؤرخين و مستشرقين .

استطاع الوزان بفضل ذاكرته أن ينقل لنا عوالم قديمة لم يستطيع الإنسان المعاصر الاستطلاع عنها و عن تواريخها و ثقافتها ولغتها وطبيعة سكانها وطرق عيشها، فقربها لنا من خلال كتابه رغم اندثار أجزاء من هذه الأماكن لاختلاف هيكلة الأرض، إلا أنه يعد من أبرز الكتب و أثمرها لذاكرتنا نحن فذاكرة الوزان كانت بمثابة جسر قرب لنا تاريخ المدن قديما و حضارتها و سرد لنا كيفية عيشها وعاداتها البارزة في ذلك العصر- و حدودها الجغرافية و الملوك التي كانت تحكمها وكذلك المعارك التي خاضتها المدن فيما بينها وكذا أنواع الحيوانات و النباتات المتواجدة بالإضافة إلى المسافات الفاصلة بالأميال بين المدن و الأقاليم والطرق والمسارات المؤدية بينهم و كذلك الأماكن التي لم تستكشف بعد، إذ أثبت الوزان

تواجدها و ذكر كل مصدر حكي عنها ، فذكريات الوزان مصدر حياته و بين وجوده أراء مشاركتها مع الأجيال ليثبت ما عاشه في الماضي .

رغم الأخطاء المتواجدة في كتابه و التي أرجعها إلى عدم كتابته لها في مدونته و مرور 10 سنوات عن قيامه بهذه الرحلة و اعتماده أثناء الكتابة على ذاكرته فقط و ما علق بها ، فنجد أنه أخطأ في اتجاه مجرى نهر أم الربيع فقال " جبل مغران حيث ينبع نهر أم الربيع ويتاخم جنوبا جبال داداس " [1]، حيث ظن أنه يجرى نحو الجنوب لكنه العكس ، كما اعتقد أن نهر سوس يصب عند رباط ماسة في قوله " و يمر بينهما نهر سوس الكبير " [2] لكن نهر سوس يصب في المحيط قرب أكادير، إذ خلط في تقديره للمسافات ببعض الأماكن و كذا تناقضه أثناء الكتابة مع نفسه حيث يكرر أرقام مختلفة عن حقبة معينة حيث ذكر " تيدسي مدينة كبيرة تحتوى على أربعة ألاف كانون أسسها الأفارقة على بعد ثلاثين ميلا من شرق تروادنت و ستين ميلا من البحر " [3] والحقيقة غير ذلك فتيدسي تقع على بعد 14 ميلا جنوبي تروادنت و على بعد 30 ميلا عن البحر " و غيرها من الأخطاء المتواجدة في هذا الكتاب لكنها لم تؤثر و لم تتأثر بل كان الإقبال عليه كبيرا من طرف المؤرخين و المستشرقين لما كانت فيه من دلالات تاريخية و جغرافية مهمة و بارزة تجدب الباحث إليها.

أخذ كتاب الحسن الوزان " وصف إفريقيا " عدة منحنيات أولها أنه ترجم لعدة لغات و هذا لكي يستفاد منه و من المعلومات الجغرافية التي حملها فكان المستشرقون السباقون لهذه الترجمات و كانت ترجمة راميزيو Ramizio أول ترجمة باللغة الإيطالية، وكذلك نجد ترجمة فلوريان Florian للغة اللاتينية وغيرها من الترجمات التي أكدت أهمية

[1]- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 186 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 113 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 119 .

هذا الكتاب رغم أنه لا ينتمي لحضارة المستشرقين، بل كان الاهتمام بما كتب في ذلك الكتاب هو من استدرجهم لإعادة كتابته، و من ذاكرتنا نحن أيضا يتواجد الأدباء والنقاد الذين قاموا بتجديد ذاكرة الوزان بطرقهم الخاصة و نجد منهم أمين معلوف الذي كتب رواية " ليون الإفريقي " مجددا فيها ذاكرة الوزان إذ جعل منها حوار الحضارات والتعايش مع الآخر بين الشرق و الغرب، إذ استقت هذه الرواية مادتها من التاريخ العربي الإسلامي الذي يعد مثالا للتسامح ومركز لتكوين الأديان والأعراف، فأعطى للحسن الوزان دورا هاما في روايته فتتبع سيرة حياته و انتقالاته بين القارات و اختلاف الثقافات.

شكل كتاب وصف إفريقيا شكل الهيكل الأساسي في رواية أمين معلوف "ليون الإفريقي" من حيث المشاهد والنصوص و الشخصيات و هوية الحسن الوزان ذاتها، حيث اعتبر أمين معلوف كتاب وصف إفريقيا ذاكرة للحقبة الماضية التي عاشها الوزان و أعاد إحياءها أمين معلوف مع روايته و أجمع بين الماضي والحاضر رغم اختلاف الحضارات و الأديان.

استطاع كتاب الحسن الوزان أن يحقق روابط و همزات وصل بين ذاكرة الماضي والتي تعود للوزان و ما عاشه وذاكرة الحاضر وهي ذاكرتنا نحن في الحاضر، وذلك بإعادة هيكلة الماضي و استغلاله في الحاضر وهذا دليل على تأثر الأدباء و المستشرقين لهذا الكتاب وإرادتهم في تمجيد ذاكرة الوزان و نقلها في ذاكرتهم عن طريق كتبهم لترسيخها في ذكريات الأجيال القادمة.

ثالثا: دور الذاكرة في بناء التاريخ من خلال كتاب وصف إفريقيا

لطالما كانت الذاكرة هوية الفرد و جوهره، استطاع بفضلها بناء تاريخ مجيد لأمته، تاريخ انتصارات وفتوحات إسلامية و تاريخ مشاركة الأمم في الحضارة البشرية، كما تعد الذاكرة المادة الخام للتاريخ فبدونها لا يمكن إعادة بناء الماضي البشري فلها مكانة هامة في حياة الشعوب، إذ تعمل على نحت هويتها وتمنحها استمرارية في التاريخ و ذلك بانتقاء أحداث الماضي وإعادة بنائها وصهرها، بينما التاريخ يعتبر القوت الذي يطعم الذاكرة و يمنحها مرتكزات تغنيها عن غيرها.

اكتسب كتاب الحسن الوزان " وصف إفريقيا " أهمية كبيرة لما جاء في جعبته من تاريخ ممجد وعريق كان الفضل في اكتشافه لذاكرة الوزان التي خزنته عن طريق المشاهد والملاحظات، وكذا الأحداث التي عاشها جعلت منه عبارة عن ذاكرة رجعية لتاريخ الأمم وتغيراتها و دليل لما عاشته الشعوب القبلية في الماضي ، إذ استطاع الوزان إثبات وجوده و كان أول من أفاد أوروبا في علم الجغرافيا بدون منازع حيث ظلت معلوماته و أبحاثه المرجع الهام حتى بعد ظهور الكشوف العلمية بشهادة المستشرقين من خلال إعطاءه نظرة دقيقة و معلومات نادرة و وصف أمين اعتمادا على مشاهداته أولا وعلى ما استقاه من أخبار من أبناء البلد، مهدت لهم طرقهم البحثية من خلال خرائطه الجغرافية و أحداثه التاريخية و مسارات الطرق التي جابها والملوك التي حكمت آنذاك وكذا المعارك التي سقطت فيها مدن كثيرة، فكل هذه الأوصاف جعلت من كتابه المرجع الوحيد في التاريخ الإفريقي و الأسيوي كانت كنزا ثمينا وهدية نفيسة للمستشرقين استفادوا من رحلاته في عصر النهضة الأوروبية و بداية انطلاق تحركاتهم الاستكشافية لقارة إفريقيا المجهولة من خلال الدراسات التي قاموا بها نذكر بعض منها : المستشرق الفرنسي لوي ماسينيوس الذي تحدث عن (المغرب في السنوات الأولى من القرن السادس عشر لوحة جغرافية حسب ليون 1906) .

و كذلك المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي في (الأدب الجغرافي عند العرب) ..... وغيرهم.

أعطى المستشرقين انطباعات عديدة عن كتاب وصف إفريقيا و عن مدى أهميته العلمية فذكر المستشرق هارتمان الذي عبر عن أن كتاب " وصف إفريقيا "كنز من الذهب و لو لا وجدوده لخفيت على أوروبا أشياء كثيرة، أما توماس ديكين فقد اعتبره المرجع العمدة طيلة قرنين من الزمن في أوروبا و في كل ما يختص بالأقطار العربية الإفريقية و دول شعوب أقطار الساحل ، بينما عبر شيفر عن كتاب الوزان بأنه كان صادق في أقواله عن المواضيع التي أثارت الشك في كتابه ..... وغيرهم من المستشرقين.

لقد تمكن الوزان من خلال كتابه " وصف إفريقيا " من دفع عجلة الركود التي كانت تعاني منها إفريقيا من خلال ذاكرته التي ساعدت كثيرا في نشر تاريخ الحضارات و إمتدادتها سهلت الأمر على الباحثين والمستكشفين للنواحي الغامضة من العالم.

رابعا : حوار الحضارات و الثقافات في كتاب " وصف إفريقيا للحسن الوزان "

يعد مبدأ الحوار بين الثقافات والحضارات مدخلا مهما لمعرفة الأخر و إزالة المفاهيم الخاطئة و النمطية ، فهو جزء مهم من الحياة الإنسانية من خلاله تتعزز فرص التعاون بين الثقافات المختلفة و التآلف و التجاور و مد الجسور و احترام الهويات الثقافية الحضارية المتنوعة، وكذا توطيد علاقات التواصل و التعارف و التفاعل و الاحتكاك الحضاري وإنهاء الصراعات العالقة بين الشعوب، كما يعتبر نوع من أنواع التفاعل بين الثقافات والشعوب المتباينة فيما بينها سواء كانت في العرق أو في المعتقدات أو الثقافات أو الديانات أو العادات وغيرها من الجوانب التابعة لها، إذ نجد الحسن الوزان في كتابه " وصف إفريقيا " قد مر بعدة محطات كانت الركيزة الأساسية لتحولات الذاكرة والتاريخ في فكره شملت هذه المحطات جعبة من الثقافات المختلفة والأديان المتنوعة و الحضارات المتميزة والتي يطبعها استطاعت أن تثبت قدرة التعايش المشترك مع الآخر رغم الاختلافات و المعيقات التي بينها ، فكان الحسن الوزان شاهدا على سقوط الأندلس، كما أنه كان في المغرب معاصر لعهد حكم الوطاسين أما في إيطاليا فعاش بداية ازدهار النهضة الإيطالية و عصر الأنوار التي ستعرفه أوروبا، إذ صنف الوزان على أنه رحالة عابر للحدود و الثقافات ورمزا للحوار والتفاعل الحضاري وناقل المعرفة بين الشرق والغرب وبين الخلافة العثمانية والإمبراطورية المسيحية.

استطاع الوزان أن ينقل لنا أربع محطات كانت بمثابة نقطة تحول في حياته جعلته متمكن من التعايش مع نظيره الآخر والتأقلم معه وكانت بدايته مع تونس الذي شق طريقه منها مرتحلا مع أبيه إلى المغرب...، إذ اعتبرت تونس أرض الحضارات العريقة التي تركت الكثير من الإسهامات الثرية تروي تاريخا مجيدا، وكانت شاهدة على انفتاحات كثيرة خاضتها مهدت في بناء حضارة كبرى خاصة بها.

فمنذ القديم اعتبرت أراضي تونس تحت تأثير عدة حضارات مختلفة من القرطاجيين ثم النوميديين و الرومانيين بعدها البزنطيين والموحدين و الحفصيين والعثمانيين و تلاها الاستعمار الفرنسي، أثرت هذه الحضارات على التنوع الثقافي و الحضاري للبلاد، فكل حضارة تركت بصمة خاصة بها في هذه المملكة وتنوعت بين العمران والمعسكرات والآثار المخلفة من ورائها، وحتى أسماء المدن التي سميت بلغات مختلفة تميزت كل منها عن غيرها جعلت من مملكة تونس مزيجا متجانس يعبر عن تاريخ الحضارات التي عصرتها وتعايشت معها منذ القديم.

يعود تنوع الثقافات في مملكة تونس إلى موقعها الجغرافي والإستراتيجي في وسط البحر الأبيض المتوسط، الذي ساهم في بنائها لثروة هائلة جاءت من خلال وفرة الأراضي الخصبة والطرق التجارية الرئيسية مع الدول الأخرى، وكذلك تبادل السلع بينها وبين معظم الممالك المجاورة لها مهد أعرق الأديان ولحضارات للوصول إليها واستكشافها والطمع في اكتسابها، ومن أهم الثقافات التي تركت أثارها وخلدت حضارتها في المملكة هي المسيحية التي كانت السبب الرئيسي في سقوطها عدة مرات، إذ خاضت تونس عدة حروب ومعارك من أجل الحفاظ على مكانتها وأمن شعبها، إذ تعرض أسطول مسيحي لهذه لها بالتحديد جزيرة جربة واحتلت من طرفه، لكن سرعان ما استقلت بعد الفتوحات و عادت حرة، لكن الكرة أعيدت مرة أخرى من قبل الإسبان وتعرضوا للهجوم واستطاع المسلمون الإفلات و منح يوم جديد لمدنهم.

بعد عودة الوزان من رحلته وفي طريقه لحط رحاله تمكن القراصنة من سفينته ودخلوا إليها آخذين معهم الوزان كأسير لمدينة نابولي و منها قدم كهدية للبابا.

ومن المحطات الأخرى التي شهدها الوزان نجد مملكة فاس التي تعددت بها الحضارات وتنوعت بين الأموية و الفاطمية والمرينية والعباسية مخلفة من ورائها حصون متنوعة وأبراج

مختلفة ومساجد ومدارس وبنايات عريقة كل منها تمثل رمزا للحضارة التي عاشت وتغلغلت ثقافتها آنذاك في سكان فاس.

من الأسباب التي أدت إلى تنوع الحضارات والثقافات وبروز الطامعين والمحتلين في هذه المملكة هي تنوع الزراعات والمحاصيل فيها، وكذا اختلاف في الثروات الحيوانية وكثرة اليد العاملة، التي جعلت فاس في ازدهار دائم وتباين فائق، كما لعب الموقع الجغرافي لفاس دورا هاما في تعرضها للإحتلالات المتكررة وذلك لتمرزكزها على الميناء الكبير الذي يعد مهبط وموطن لكل الحضارات والثقافات من مختلف الجنسيات وملتقى للطرق التجارية بين الشرق والغرب، ومركزا للنشاط الاقتصادي والتجاري، وكان التمركز الكبير فيها للمسيحيين الذين تمركزوا بشكل كبير في مدينة فاس، فبعد سقوط الأندلس وهي مسقط رأس الوزان، ودخول الإسباني فرديناند الذي أجبر المسلمين على تغيير دينهم إلى المسيحية لكنهم رفضوا، فقام الإسباني بطرد المسلمين و حتى اليهود من بلادهم مخلفين ورائهم كل أمالهم، و كان من ضمنهم الوزان.

استطاع الوافدين لبلاد فاس الاستيطان فيها وبدأ حياتهم من جديد و التأقلم معها، إذ قدمت لهم فاس أحياء تفصل بينهم ، فكان للمسيحيين حيهم و يدعى حي ملاح وللمسلمين حيهم و يدعى عدوة الأندلسيين، فباختلاف الأحياء و تنوع سكانها جعل من المدينة خليطا من الأمازيغ والقيروانيين والأندلس و اليهود الذين بحد ذاتهم ساهموا في تطورها العمراني و الاقتصادي و الثقافي لكن لم تطل هذه الحالة في مملكة فاس و أصبح اليهود و المسيحيين فيها محتقرين و منبوذين من طرف المملكة جعلهم يتعرضون لعدة تمييزات مغايرة للمسلمين و غيرهم من ضرائب وطريقة لباسهم التي أجبرهم حكام فاس على القيام بها.

فرغم كل هذه التطورات و الاختلافات التي قامت في فاس استطاع الوزان أن يبنى حياة جديدة في المملكة و يكبر ويترعرع على حضارته الإسلامية فيها و يكمل حياته ومسيرته في دراسة علوم الدين الإسلامي و حفظ القرآن و التغلغل في أرجائها ليصبح معروفا آنذاك عند سكانها و ينال عملا في البلاط الفاسي جعله يعود إلى رحلاته وأسفاره.

بعد فاس كانت محطة الوزان مع مصر العريقة التي عدت من أقدم الحضارات وأغناها على وجه الأرض شملت في جوفها حضارات متنوعة، بدأت مع الحضارة الفرعونية ثم العثمانية والفرنسية والإسبانية وغيرها، وكانت المعالم الأثرية والآثار المستكشفة والمعابد المتواجدة دليل على تنوع الثقافات واختلافها على مر العصور، كما تعد هذه الحضارة من أطول الحضارات وذلك رغم سقوطها في بعض الأوقات لتعرضها لظروف صعبة إلا أنها كانت تستعيد قوتها وتنهض من جديد وذلك أدى إلى استمرارها لعدة قرون فاختلف سكانها وتنوعوا من مسيحيين ويهود و مسلمين ونصاري ويعود هذا إلى الإحتلالات المتكررة التي عاشتها مصر- مخلفة من ورائها آثار كثيرة منها تجدر الديانات واللغات والثقافات فيها، واستطاع المسلمون في مصر من فرض هيمنتهم على الأعداء و إبعادهم و ذلك من أجل إخماد الفتن التي كانت تعاني منها المملكة و كذا التحرر من المسيحيين الذين عانوا من تواجدهم في مملكتهم آنذاك.

كان طريق الوزان إلى مصر يهدف إلى العبور عليها لأداء فريضة الحج و استطاع أن ينقل لنا الحياة المصرية و ثقافتها المختلفة و كذا الحضارات التي مرت عليها و كانت بمثابة الجسر- الذي يجب على المسلمين أن يمروا به لقضاء مناسك الحج و بهذا توالت الحضارات عليها إذ صنف الوزان مصر عند ذهابه إليها بأنها من أجمل المدن وأعرقها ثقافة لما كانت تحمله مدنها من تواريخ أصلية و أماكن عريقة عاشت على يد المحتل و ترك فيها بصمته التي ميزتها عن غيرها من الأماكن .

بعد مصر كانت محطة الوزان الأخيرة في روما، فعند وقوع الحسن الوزان أسيرا في أيدي القراصنة أخذوه إلى مدينة روما و قاموا بإهدائه للبابا ليون العاشر، وكان أول ما سئل عنه الوزان هو هويته و بعد سماع الباب لقصته أراد تعليمه و تدريسه من قبل الكهنة للغة اللاتينية و الديانة المسيحية و الإنجيل وهذا يثبت تواضع البابا وحبه للوزان رغم اختلاف ثقافة كل منهما، إلا أنه تمكن من تعليمه لحضارة روما وثقافتها، ترعرع الوزان في معقل المسيحية الأوروبية ممثلا عمقها الديني في البابوية ومعتنقا للمسيحية لأسباب كانت تقيه من الموت، مكث الوزان في روما ما يقارب عشر- سنوات جعلته يتقن لغتهم وكتاباتهم بالمقابل قدم الوزان على تعليم اللغة العربية للأجانب، إذ اندمج في أوساط المثقفين في إيطاليا ونسج علاقات صداقة مع أناسها منهم الرسامين الذين خلدوا له لوحة تشكيلية تثبت تواجده في روما، بالإضافة إلى ذلك عطف البابا على الوزان و حبه له جعله يطل منه التأريخ لبلاد إفريقيا، وكان كتاب وصف إفريقيا رمز العطاء عند الوزان في بلاد روما و كانت له عدة ترجمات لاتينية شملت البلاد الأوروبية، وهذا ما جعل الباحثين الغربيين يستفيدون من رحلاته في عصر- النهضة الأوروبية التي فتحت المجال لانطلاق الحركات الاستكشافية إلى قارة إفريقيا.

اعتبرت شخصية الوزان في روما نقطة التقاء بين الثقافات و الأمم، جمعت بين الحضارة العربية الإسلامية للوزان و الحضارة الغربية المسيحية للبابا و كذا اعتباره رمز التواصل والتعايش بين الحضارات من خلال ما قدمه في كتاب وصف إفريقيا الذي يعد مرجع للغربيين في اكتشاف الخطى التاريخية لإفريقيا.

خاتمة

خاتمة:

في الختام و كحوصلة لما قدمناه سابقا فقد توصلنا إلى عدة نتائج نذكر أهمها:

- يعد كتاب وصف إفريقيا من الكتب الجغرافية البارزة و الهامة لا يمكن لأي باحث أن يستغني عنه لما يحمله من مصادر و معلومات تفيد في تاريخ إفريقيا.
- حمل كتاب وصف إفريقيا لعدة خرائط مهمة و أساسية يستعملها الجغرافيون.
- تضمن كتاب وصف إفريقيا لمختلف حضارات شعوب إفريقيا و تعرض لوصف عاداتهم و طرق عيشهم.
- التزام الوزان بالموضوعية في كتابه.
- يعتبر كتاب وصف إفريقيا نقطة انطلاق مهمة للأوروبيين حيث استفادوا منه في دراسة إفريقيا.
- كتب الوزان كتابه بالعودة إلى ذاكرته وملاحظاته فقط دون أن يعتمد على مراجع أخرى و مصادر جعلت من كتابه ثمرة ناجحة نبتت من عرق جبينه.
- لا يمكن التغاضي على الأخطاء الكبيرة التي يحملها كتاب وصف إفريقيا و كان سبب ذلك اعتماده على الذاكرة التي خانته و جعلته يقع في الأخطاء.
- لقد كان هناك تبين واضح في كتاب وصف إفريقيا من حيث وصف الوزان لبعض المدن وصفا دقيقا شاملا غير المدن الأخرى التي لم تحمل من المعلومات و الوصف القدر الكافي وهذا يعود إلى كم المعلومات التي كانت تتواجد في كتاب ملاحظاته.

- اتخذ الوزان من الميدان بحثا له فهو لم يركز على المعلومات المكتوبة و لا المنقولة من شخص أخر بل تحدى نفسه في زيارته الميدانية و تنقلاته لكتابة هذا الكتاب.

- توجد عدة جوانب غامضة تركها الوزان للباحثين من أجل دراستها والكشف عنها لتكون لهم خطا جديدا في دراسة شخصية الوزان و التعمق فيها.

- جمع الوزان في كتابه بين الذاكرة و التاريخ و كانا بمثابة تكملة لبعضهما البعض فالتاريخ يبنى بتواجد الذاكرة و الذاكرة تحي عندما يكون هناك تاريخ .

- ساهمت الذاكرة بشكل كبير في كتاب الوزان وأعطت لنفسها دورا في التأريخ لنمو عدة حضارات و سقوطها و إبراز الجانب المشرق الحضارة الإسلامية .

- استقى الوزان في كتابه وصف إفريقيا مادته من التاريخ وخاصة التاريخ العربي الإسلامي الذي يعد مثالا للتسامح و مركز لتحاور الأديان والأعراف المختلفة.

- يعتبر الوزان أول من أتى بمعلومات دقيقة عن القارة السمراء وخطط أول خريطة لهاويعد من المؤسسين الأوائل لعلم إفريقيا.

- بني الوزان جسورا للقاء بينه الذي اعتبر نفسه الأنا الشرقي والأخر الغربي من خلال ما رآه في رحلاته و جمعه في كتابه.

- مهد الوزان في كتابه لعدة حضارات و ثقافات من الجانب العربي المسلم الذي امتد عبر الزمان والمكان وتمحور في عدة نقاط من الأندلس إلى فاس والقاهرة ... وغيرها من الحواضر.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

أولا : المصادر

1- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، لبنان 1983 .

2- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج2 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، لبنان 1983 .

ثانيا : المعاجم و القواميس

1- إبراهيم مصطفى و آخرون : معجم الوسيط تحقيق ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط5 ، القاهرة ، 2011 .

2- ابن منظور ، معجم لسان العرب ج3 ، دار الصادر ، بيروت ، 2010 .

3- ابن منظور ، معجم لسان العرب ، دار المعارف ، بيروت ، 2016 .

4- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ج2 ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط1 ، دار الفكر القاهرة ، 1979 .

5- أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، مج1 ، عالم الكتب ، القاهرة ، .2008

6- الزبيدي ، تاج العروس ج 11 تحقيق عبد الكريم العزباوي ، وزارة الإعلام ، الكويت 1972 .

7- مجدي وهبة و كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ، مكتبة لبنان ، ط2 ، بيروت ، 1984 .

ثالثا : الموسوعات

1- فواز الشعار ، الموسوعة الثقافية العامة ، دار الجيل ، ط2 ، بيروت ، 1999 .

2- محمد عبد الخالق فضل ، الموسوعة العربية العالمية ، ج 21 ، مؤسسة أعمال الموسوعة ط 2 ، الرياض 1999 .

رابعا : المراجع

1-ابن خلدون ، المقدمة ، تح ، درويش جويدي ، ج1 ، المكتبة العصرية ، ط2، بيروت ، 2000 .

2- ابن سينا ، الشفاء ، الفن السادس ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، 1984 .

3- أبو القاسم الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 7 ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت، 1998.

4- بول ريكور، التاريخ، الذاكرة، النسيان، تر جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت، 2009

5- حسين محمد حسين ، أدب الرحلة عند العرب ، دار الأندلس ، ط2 ، بيروت ، 1983 .

6- حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، دار علم المعرفة ، ط1 ، الكويت ، 1978 .

7- عبد الله العروي ، مفهوم التاريخ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ط4 ، 2005 .

8- فتحي مصطفى الزيات ، صعوبات تعلم الأسس النظرية و التشخيصية و العلاجية ، دار النشر للجامعات ، مصر ، 1998 .

9- مثقال القاسم جمال ، أساسيات صعوبات التعلم ، دار الصفاء للنشر ، عمان ، الأردن ، 2015 .

10- محمد بن يوسف الهروي ، بحر الجواهر ، طبعة طهران ، الهند ، 1971 .

11- محمد عبد الرحمن السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دار الكتب العلمية ط 1 ، لبنان ، 2015 .

12- محمد علي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم ، تحقيق رفيق العجم ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1996 .

خامسا: المجلات و الدوريات و الجرائد

1- الحسن الوزان، وصف إفريقيا ، جريدة الحياة ، موقع اللغة و الثقافة العربية ، بيروت العدد 1 ، 1946 .

2- الطاهر خالد، مساهمة الوزان في التأريخ لبلاد السودان من خلال كتابه وصف إفريقيا ، المجلة التاريخية الجزائرية العدد 4 ، سبتمبر 2017 .

3- سعيد بن سعيد العلوي، أوروبا في مرآة الرحلة صورة الأخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، مطبعة النجاح الجديدة ، ط1 ، الدار البيضاء ، 1995 .

4- شوقي عطا الله الجمل، الحسن بن محمد الوزان و إنتاجه الفكري و المؤثرات التي تأثر بها ، مجلة المناهل ، العدد 2 ، .1975

5- عبد الله الحاجي رحلة الحسن الوزان المعروف Jean leon l'african إلى دولة إفريقيا جنوب الصحراء ، مج 1، مجلة العلوم الإنسانية و الطبيعية، العدد 6، المغرب 2020 .

6- نبيل راغب، أدب الرحلات، مجلة الفيصل، ع 88،الرياض،1984.

سادسا : الرسائل و المذكرات

1- ساسان إلهام ، تأثير الصدمة الجمجمية على الذاكرة و كيفية إعادة تأهيلها ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس و علوم التربية ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية ، دفعة 2006-2007 ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة .

سابعا : المواقع الإلكترونية

1- https://www.ALUKAH.net

2- https://www.aljarida.com

3- https://www.natharatmouchrika.net

الملخص

الملحق :

التعريف بالكاتب الحسن الوزان :

هو الحسن بن محمد الوزان الفارسي، ولد بمدينة غرناطة اختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته فأرجعها البعض إلى عام 901 هـ / 1495 م و البعض الآخر إلى عام 906 هـ / 1500 م، و من خلال من ورد من تواريخ في كتاب وصف إفريقيا فربما نرجح أن الوزان ولد في 888 هـ / 1483 م [1] قبل سقوط غرناطة انتقل إلى فارس و هو صغير واستقر فيها مع عائلته و تعلم فيها النحو و الأدب و الشعر و التاريخ و الفلسفة على يد كبار القرويين، عاش في سعة ورغد في قصر قريب من المدينة المغربية، و اشتغل بالتوثيق في " مارستان " في فاس [2].

عمل في جمع الضرائب من قبل قبائل المغرب ، و عمل كاتب معتمد في بيمارستان مستشفي الأمراض العقلية بفاس [3] كما عمل في الديوان مع الوطاسيين في عهد محمد الشيخ أبي زكرياء و عهده، وقام بعدة رحلات في شؤون إدارية أول رحلة له كانت في ضواحي المغربو نواحي إفريقيا مرافقا عمه لتمبكتو عام (910 هـ / 1504 م) و في عمره 17 سنة، كما عمل مدرسا للغة العربية في روما لرجال الكنيسة و بالأخص للطلبة في مدرسة بولونيا في عصر النهضة [4].

---

[1]- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ، ص 7 .

[2]- أمين معلوف (12-10-2008) هوية ليون الإفريقي الضائعة ، موقع الجريدة ، ص 2 ، رابط الموقع : https://www.aljarida.com.

[3]- محمد عبد الخالق فضل ، الموسوعة العربية العالمية ، ج 21 ، مؤسسة أعمال الموسوعة ، ط 2 ، الرياض ، 1999.

[4]- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 7 .

فالحسن الوزان ذو شخصية مختلفة تتغير بتغير الفضاء ، حيث أنه يعيش في فضاءه الخاص و يتعرف على مختلف جوانب فضاءاته منقبا و باحثا [1]، إذ به كان يسجل كل ما يراه و ينقله عن البلاد الذي زاره معتمدا عنصر الحكي، سقط أسيرا في (929هـ/1518م) في يد القراصنة و أهدوه للبابا ليون العاشر في روما [2].

مكث إثنا عشر سنة و تمكن من الهروب متجها لتونس، كاتبا فيها سيرته الذاتية التي هي رسالة لابنه يوضح فيها هويته المتكونة من عدة انتماءات فهو في إفريقيا ابن الرومي، و في روما ابن الإفريقي كانت له مهام سياسية و نشاطات دبلوماسية مسندة إليه كانت الدافع في القيام برحلاته داخل و خارج المغرب توفي سنة (957 هـ / 1550 م) .

ب- مؤلفاته : له العديد من المؤلفات منها :

- معجم عربي عبري لاتيني : ألفه من أجل يعقوب بن سمعون لا يزال بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا .
- كتاب التراجم باللاتينية: فيه ثلاثين شخصية بارزة.
- الجغرافية العامة: ضاع و لم يبق إلا القسم الثالث.
- كتاب تاريخ إفريقيا الحديث .
- مختصر تاريخ الإسلام .
- أشعار الأضرحة: و هو مفقود يضم أشعار الوعظ والزهد.
- كتاب في الفقه المالكي: و هو مفقود مشار إليه في عدة كتب ككتاب وصف إفريقيا.

[1] - الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ص 65 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 64 .

ج- أهم رحلاته :

- رحلة إلى الشواطئ الغربية القريبة من فاس.
- رحلة إلى وسط المغرب زار فيها منطقة تادلا و تافزا.
- رحلة إلى بلاد السودان ذهب فيها مع خاله.
- رحلة إلى الأطلس الكبير كلف فيها بمهمة دبلوماسية.
- رحلة إلى بلاد حاحا مكلف بالاتصال بالأمير السعودي.
- رحلة من مراكش إلى سوس.
- رحلة إلى الحجاز .
- رحلة إلى الأستانة مكلف بالخروج مع السلطان سليم الأول .
- رحلة العودة إلى البلاد الليبية و التونسية للوصول للمغرب[1].

[1]- الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ، ص 8-9-10 .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

مقدمة	أ
الفصل الأول : التاريخ و الذاكرة مقاربات في الماهية	
أولا: أدب الرحلة مقاربة في المفهوم	6
ثانيا: التاريخ	9
أ- لغة	9
ب- اصطلاحا	9
ثالثا: الذاكرة	12
أ- لغة	12
ب- اصطلاحا	12
رابعا : علاقة الذاكرة بالتاريخ	15
الفصل الثاني : التاريخ و الذاكرة في كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان	
أولا : التعريف بكتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان	18
ثانيا : تجليات التاريخ و الذاكرة في كتاب وصف إفريقيا	23
1- التاريخ	23
2- الذاكرة	39
ثالثا : دور الذاكرة في بناء التاريخ من خلال كتاب وصف إفريقيا	42
رابعا : حوار الحضارات و الثقافات في كتاب وصف إفريقيا	44
خاتمة	50
قائمة المصادر و المراجع	53
الملحق	58
فهرس المحتويات	62

الملخص :

تنوعت الدراسات في كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان واختلفت مساعيها بين التاريخ والثقافة والذاكرة والحضارات، واندرجت تحت طيات هذا الكتاب ضمن أدب يعرف بأدب الرحلات الذي يحمل طابع استكشافي و جغرافي يقوم على منهجية الترحال والمشاهدة ثم النقل و ذلك للكشف عن كل نواحي الحياة المتواجدة في العالم .

الكلمات المفتاحية :

التاريخ – الذاكرة – أدب الرحلات – الطابع الاستكشافي و الجغرافي.

Summary:

The studies varied in the book description of Africa for hassan wazzan and its endeavors differed between history, culture, memory and civilizations and were included under the folds of this book in a literature known as the literature of journeys, which has an exploratory and geographical character based on the methodology of travel and viewing and then transportation to reveal all aspects of life that exist in the world.

Keywords:

History, memory, travel literature, exploratory and geographical nature.